أعلام المسلمين
٦٩

أم المؤمنين زينب

الصَّالِحة العَابدة، أم المسَاكين

تأليف
أمينة عمر الخراط



دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين

٦٩

أم المؤمنين زينب

الصَّالِحة العابدة، أم المسَاكين

تـأليف

أمينة عمر الخـرّاط

دار القلم

دمشق

أم المؤمنين زينب

الصالحة العابدة، أم المساكين

الطّبْعَة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

تُطلب جميع كتبنا من :

دَار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدّار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزّع جميع كتبنا في السّعوديّة عن طريق

دَار البَشير - جدّة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥

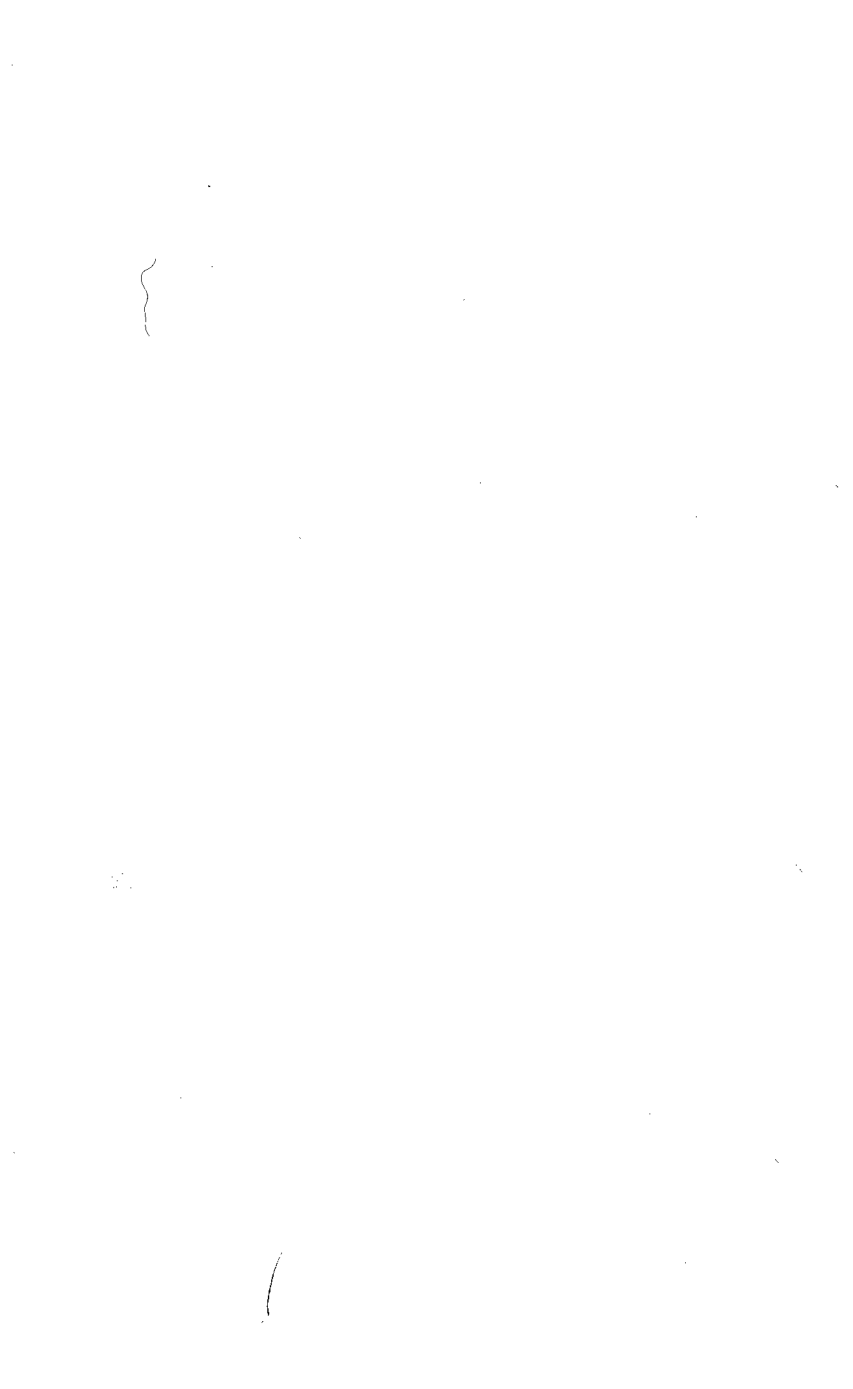
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

الإهداء

ولديَّ الحبيبين : الزبير وزلفى .

أرجو أن يكون لكما في سيرة الصدر الأول من هذه الأمة نور يضيء لكما درب الحياة .

أم بلال



١ هٰـذه السَــيّدة

ـ «إنهـا الأوّاهـة».

رسول الله ﷺ

ـ لقد ذهبت حميدة متعبّدة. مَفْزَع اليتامى والأرامل.

السيدة عائشة

ـ ولم أرَ امرأة قطُّ خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوْصَل للرحم، وأعظم صَدَقة، وأشدّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدّقُ به وتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى.

السيدة عائشة

ـ كانت زينب صالحة صوَّامة قوَّامة، تعمل بيدها وتتصدق بذلك كله على المساكين.

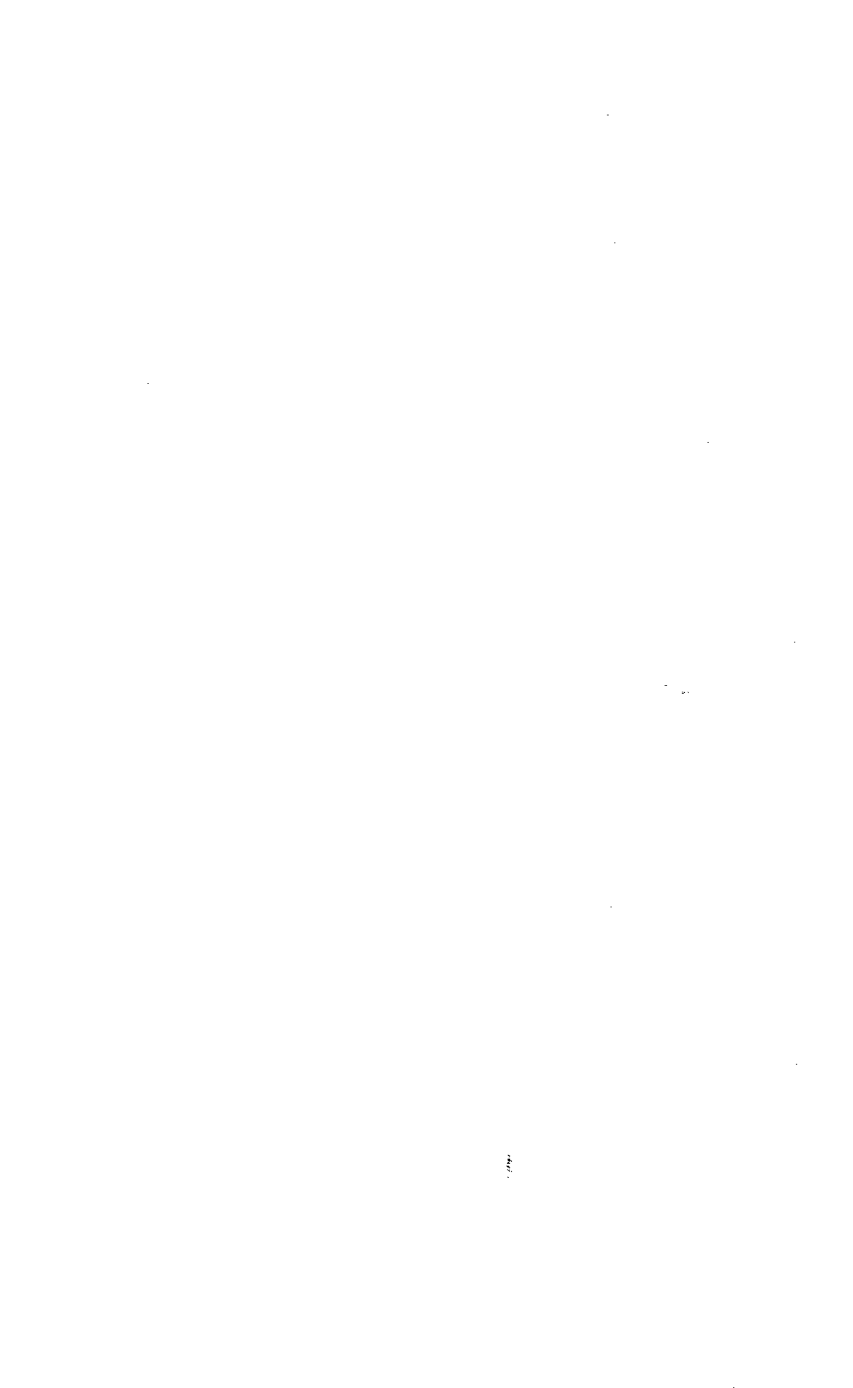
أم سَلَمة

ـ هذه امرأة يُراد بها خير.

عمر بن الخطاب

ـ هذه التي نِلْنا بها كلَّ خير.

أخوها: أبو أحمد



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم؛ وبعد.

فهذا هو الكتاب الرابع الذي أقدّمه في سلسلة تراجم كوكبة من الصحابيات الفاضلات، بدأته بأم سَلَمة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ التي اتَّصفت بالعقل الراجح والعلم الغزير، ثم كانت الترجمة الثانية للسيدة أم سُلَيْم بنت ملحان ـ رضي الله عنها ـ التي اتَّسمت بالبذل والعطاء الوفير لمسيرة الدعوة المباركة وقائدها رسول الله ﷺ، وكان بيتها الذي ضمّها وزوجها نموذجاً للبيت المسلم الذي كانت دعوة الله شغله الشاغل.

ثم جاءت الترجمة الثالثة للمجاهدة الصابرة أم عمارة ـ رضي الله عنها ـ التي ضربت أروع المثل في الجهاد والبذل

والشجاعة، ولاقت في سبيل غايتها أصعب المواقف، وتوفِّيت بعد بسالة قد يعجز عن خوضها أكابر الرجال.

ويأتي كتابي الرابع هذا ليسلّط الأضواء على حياة أم المؤمنين زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ تلك السيدة الأوَّاهة الصوَّامة القوَّامة التي عُرِفت بعبادتها وصلاحها.

وغايتي من هذه السلسلة المباركة أن أضع أمام أخواتي المسلمات اليوم نماذج مضيئة من نساء صحابيات ضربن أروع الأمثلة في التعامل مع مسيرة الدعوة المباركة، وقد بذلت الجهد للالتزام بالمنهج العلمي في البحث والكتابة، فآثرت أن أوثِّق معلوماتي من مظانِّها الأصيلة، كما أنني آثرت أن أستنبط الدروس والعبر التي تنفعنا في عالمنا اليوم، وما أشدّ حاجتنا إلى هذه الدروس بعد أن اختلطت الأمور في عينَي كثيرٍ من أخواتنا، بيد أنني لا أجعل القلم يشتط في استخراج دروس لا صلة لها بواقع الأحداث.

وقد جاء البحث في أحد عشر فصلاً على النحو التالي:

١ ـ الفصل الأول: اسمها وقبيلتها وولادتها.

٢ ـ الفصل الثاني: أسرتها.

٣ ـ الفصل الثالث: صفاتها.

٤ ـ الفصل الرابع: إسلامها وهجرتها.

٥ ـ الفصل الخامس: اشتراكها ببعض غزوات النبي ﷺ.

٦ ـ الفصل السادس: زوجها الأول: زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ.

٧ ـ الفصل السابع: زواجها من زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ.

٨ ـ الفصل الثامن: زواجها من الرسول ﷺ.

٩ ـ الفصل التاسع: شبهات حول زواج النبي ﷺ من السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ.

١٠ ـ الفصل العاشر: ذكر آيات كانت السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ سبباً في نزولها.

١١ ـ الفصل الحادي عشر: وفاتها ـ رضي الله عنها ـ.

ثم ذيَّلت البحث بملحق يتضمَّن ذكر بعض الأحاديث التي روتها السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ أو رُوِيَتْ عنها.

ثم جاءت الخاتمة، وذِكر المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي هذا.

أسأل المولى عزَّ وجلّ أن أكون قد وفّقتُ في بيان صورة مضيئة عن أم المؤمنين السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ والدروس المستخلصة من حياتها.

وأخيراً يسعدني أن أتقدَّم بالشكر الجزيل إلى زوجي أبي بلال، الذي كان لي عوناً في توفير المراجع العلمية اللازمة لبحثي هذا والإشراف عليه. جزاه الله عني خير الجزاء. والله أسأل التوفيق والسداد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أم بلال

الجمعة ١٤ من ربيع الأول ١٤١٨ هـ

الفصل الأول

اسمها وقبيلتها وولادتها



اسمها وقبيلتها وولادتها

اشتهرت أم المؤمنين ـ زينب بنت جحش ـ باسمها رضي الله عنها، فهي زينب بنت جحش بنت رئاب بن يَعْمر بن صبرة بن مُرَّة بن كثير بن غُنْم بن دُودان بن أسد بن خزيمة الأسدية[1].

وكان اسمها بَـرَّة فسمَّاها رسول الله ﷺ زينب[2]. وقد ذكرت كتب الحديث أنَّ رسول الله ﷺ دأب على تغيير الاسم إذا لم يروقه إلى اسم أحسن منه، وقد يكون سبب ذلك: القبح في الاسم، وقد يكون لمعنى آخر.

---

(١) انظر: كتاب الطبقات لـ خليفة بن خياط، ص ٣٣٢؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٣٥/ ١٨٤؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ١٠١؛ السيرة الحلبية: ٣/ ٣٢٠؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١١؛ تقريب التهذيب، ص ٧٤٧؛ البداية والنهاية: ٤/ ١٤٥؛ المعارف، ص ١٣٥.

(٢) صحيح مسلم: ٣/ ١٦٨٧.

وقد عقد البخاري باباً في صحيحه وضع له عنواناً بقوله: «باب تحويل الاسم إلى أحسن منه»[1]. قال ابن حجر: «هذه الترجمة منتزعة ممَّا أخرج ابن أبي شيبة من مرسل عروة: «كان النبي ﷺ إذا سمع الاسم القبيح حوَّله إلى ما هو أحسن منه. وقد وصله الترمذي من وجه آخر عن هشام بذكر عائشة فيه»[2].

ومن أمثلة هذا الباب في الأحاديث التي رواها البخاري تحويل اسم حَزْن إلى سهل، أما أم المؤمنين زينب التي كان اسمها برّة، فلم يستحسن الرسول ﷺ هذا الاسم على حسب رواية البخاري؛ لأنَّ فيه تزكية للنفس، فقد روى أبو هريرة أن زينب كان اسمها بَرَّة، فقيل: تزكي نفسها. فسمَّاها رسول الله ﷺ زينب[3]. قال ابن حجر: «أي لأن لفظة بَرَّة مشتقة من البِرِّ. وقال الرسول ﷺ: الله أعلم بأهل البر منكم»[4]. فليس في اسم بَرَّة الذي غيَّره الرسول ﷺ قبح إذن، وإنما لمعنى آخر وهو كراهة تزكية النفس.

---

(١) فتح الباري: ١٠/ ٥٩١.

(٢) الفتح: ١٠/ ٥٩١.

(٣) الفتح، ص ٧٨ من كتاب الأدب، ١٠٨ باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه: ١٠/ ٥٩١.

(٤) الفتح: ١٠/ ٥٩٢.

وفي «السيرة الحلبية» تعليل آخر؛ حيث يقول الإمام برهان الدين الحلبي: «أي: خشي أن يُقال: خرج من عند بَـرَّة»[1]. ولا يتَّضح هنا سبب الخشية بجلاء، كما يتضح من رواية البخاري.

أمـا كنيـة أم المـؤمنيـن زينـب بنـت جحـش، فهـي: أم الحكم[2]. وقولنا: «الأسدية» نسبة إلى القبيلة المعروفة بهذا الاسم، وأسد أبو قبيلة مضر، وهو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر[3]، وبلادهم مما يلي الكرج من أرض نجد في مجاورة طيء، وهو بطن متّسع ذو بطون كثيرة[4].

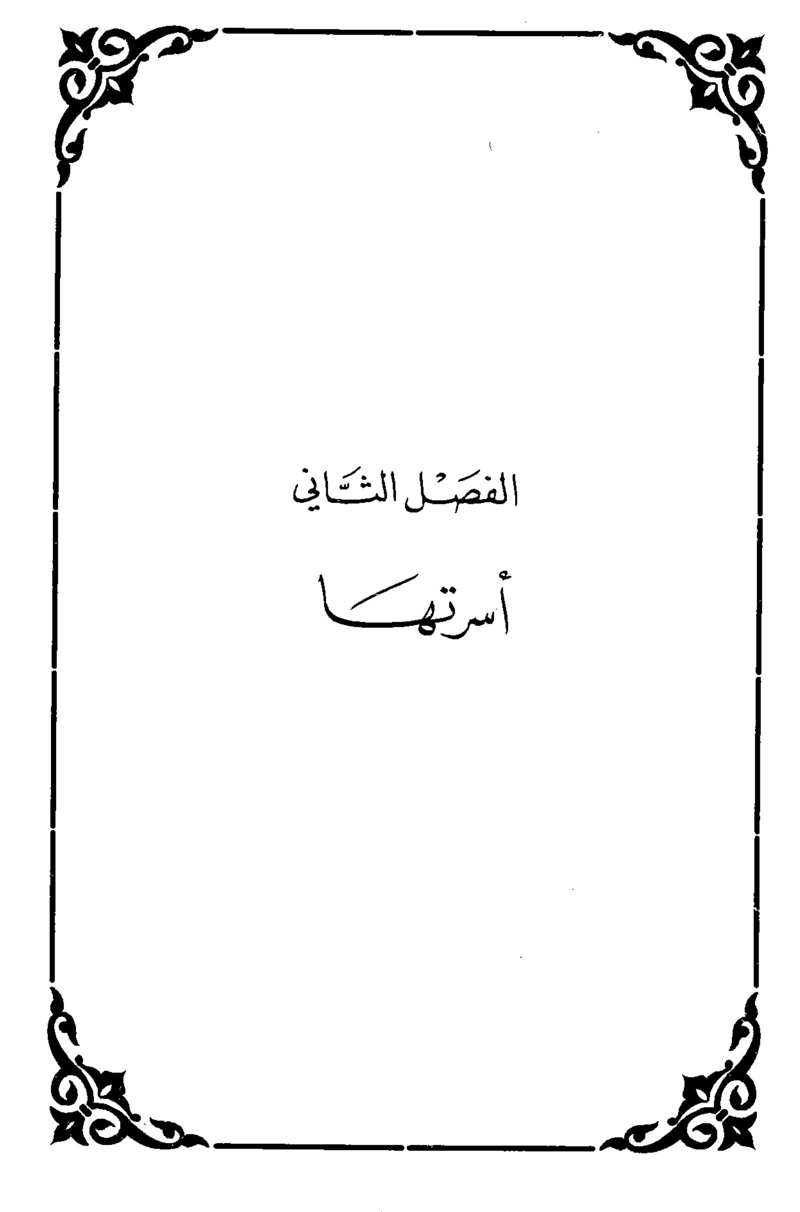
وذكر صاحب «الأعلام» أنَّ ولادتها كانت في السنة الثالثة والثلاثين قبل الهجرة[5]. وهذا واضح من حساب وفاتها التي كانت سنة ٢٠ للهجرة، وكان عمرها عند وفاتها ثلاثاً وخمسين سنة، فتكون سنة ولادتها هي السنة الثالثة والثلاثون قبل الهجرة.

* * *

---

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٣٢٠.
(٢) أسد الغابة: ٥/ ٤٦٣.
(٣) اللسان (أسد): ٣/ ٧٢.
(٤) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ص ٦٠.
(٥) الأعلام: ٣/ ٦٦.





الفصل الثاني

أسرتها

أسرتها

سوف نشير في هذه الدراسة إلى طائفة من أفراد أسرتها وهم:

١ ـ أمها:

اختلف المؤرخون وأصحاب السيرة في اسم أمها:

أ ـ فالكثيرون على أنها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[١]. وهي والدة عبد الله وزينب وعبيد الله وأبي أحمد وعبد وحمنة، وهم أولاد جحش بن رئاب الأسدي.

وذهب صاحب «سير أعلام النبلاء» إلى أنها أسلمت وهاجرت، وأطعمها رسول الله ﷺ أربعين وسقاً من تمر خيبر[٢].

---

(١) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، ص ١٢٢؛ أزواج النبي ﷺ، ص ١٨١؛ المعارف لابن قتيبة ص ١١٨، ١٢٨.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٧٤.

وذكر صاحب (السيرة الحلبية) في فصل عمّاته ﷺ أنَّ أميمة عمَّته، وعدَّد عماته، ثم قال: «ولم يُسلم من عماته اللاتي أدركن البعثة من غير خلاف إلا صفية»، وأورد أقوالاً تفيد أنَّ أروى وعاتكة عمَّتي رسول الله ﷺ لم تسلما[1]. وهذا النص يفيد أن أميمة والدة زينب لم تدخل في الإسلام.

وأكَّد هذا الذهبي حيث قال: «والظاهر أنَّ أميمة الكبرى العمة ما هاجرت، ولا أدركت الإسلام، والتي أسلمت هي أميمة بنت ربيعة الهاشمية. ولم يهتم بذكر إسلامها إلا الواقدي»[2].

ب ـ وذهب آخرون إلى أن اسم والدتها هي ميمونة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[3]، ويحتمل هذا النص أن تكون ميمونة هذه هي نفسها أميمة التي تقدّم ذكرها، لأن عماته ﷺ هنَّ: أم حكيم، وعاتكة، وبَـرَّة، وأروى، وأميمة، وصفية[4]. ويحتمل أن يكون هذا وهماً أو تحريفاً في الاسم.

---

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٣١٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٧٤.

(٣) كتاب الطبقات لـ خليفة بن خياط، ص ٣٣٢.

(٤) السيرة الحلبية: ٣/ ٣١٣.

أما **أبوها**: جحش بن رئاب الأسدي، فليس بين أيدينا أي خبر عن تفصيل حياته، ويبدو أنه لم يدرك الإسلام، فلم يرد اسمه في أحداث البعثة.

* * *

٢ ـ إخوتها:

أ ـ عبد الله بن جحش: بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُرَّة بن كثير بن غُنْم بن دودان بن أسد بن خُزيمة الأسدي[١]. أمه أميمة بنت عبد المطلب، فهو أخ شقيق لأم المؤمنين زينب[٢]، وهو حليف لبني عبد شمس، عُرف بأنه أحد السابقين إلى الإسلام، فقد أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، هاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة لما بلغه إسلام أهلها[٣]، بيد أنه عاد إلى الحبشة ثانية عندما لم يجد ما يشجعه على البقاء، ثم عاد أخيراً إلى مكة[٤].

---

(١) انظر الاستيعاب: ٣/ ٨٧٧؛ أسد الغابة: ٣/ ١٣١؛ الإصابة: ٤/ ٤٦.

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٦٥.

(٤) قادة النبي ﷺ، ص ٨٩.

وقد أبلى عبد الله في سبيل الدعوة بلاءً حسناً، وكان في طليعة المهاجرين إلى المدينة[1]. وآخى النبي ﷺ بينه وبين عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح[2].

وكان هذا المجاهد العظيم قائداً لبعض سرايا الرسول ﷺ، منها سرية نخلة في السنة الثانية من الهجرة، وكان معه اثنا عشر صحابياً، وكتب النبي ﷺ له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، وهو ما يسمَّى في الاصطلاح العسكري: الرسائل المكتومة. وجاء في الكتاب أن يترصَّد فريقه قريشاً بين مكة والطائف، ثم اشتبكوا معهم، وكان الوقت في شهرٍ حرام، وبعد أن غنموا منهم وأسروا عادوا إلى المدينة، فلامهم الصحابة على صنيعهم، واستغلَّت قريش ما وقع، ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ففرَّج الله عن المسلمين.

وهذه السرية هي أول غنيمة غنمها المسلمون، وكان عبد الله قائدها أول مَنْ قسم المغنم، وأعطى الخُمس في

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٤٧٠.
(٢) قادة النبي ﷺ، ص ٨٩.

الإسلام، وأولُ مَنْ سُمِّي أمير المؤمنين في الإسلام في هذه السرية[1].

يقول اللواء محمود شيت خطاب: «بالإضافة إلى تأثير نتائج هذه السَّرِيَّة معنوياً في قريش بخاصة، إذ لم تكن تظن أن المسلمين قادرون على التغلغل بالعمق إلى مشارف مكة والطائف، فإن من نتائج هذه السَّرِيَّة فرض الحصار الاقتصادي على قريش»[2].

ويقول أيضا: «لقد كان واجب سرية عبد الله أشبه بواجبات المغاوير أو القوات الخاصة في الجيوش الحديثة التي تُدَرَّب تدريباً شاقاً عنيفاً على تحمُّل الأهوال واجتياز العقبات»[3].

وفي يوم أُحد كان عبد الله من الأبطال الذين قاتلوا في سبيل الله، وقد استشهد في هذه الغزوة، حيث قتله الأخنس بن شُـريق، ودفن هو وحمزة عم النبي ﷺ في قبـر واحد، وكان عمره نيفاً وأربعين سنة[4].

ولما قُتِلَ مَثَّلَ به المشركون، فجدعوا أنفه وقطَّعوا أذنيه

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ٩٠.
(٢) قادة النبي ﷺ، ص ٩٤.
(٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) الإصابة: ٤/ ٤٦؛ الأعلام: ٤/ ٧٦.

وبقروا بطنه، فكان يُقال له: المجدَّع في الله[1]. وذكر صاحب (الاستيعاب) أن النبي ﷺ شهد له بأنه أصبر المسلمين على الجوع والعطش[2].

٢ ـ **عبيد الله بن جحش**: بن رئاب بن يعمر الأسدي، الأخ الشقيق لزينب أم المؤمنين رضي الله عنها، وهو من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف؛ أسلم وهاجر مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان وابنته حبيبة بنت عبيد الله، خرج مع المسلمين مهاجراً، فلما قَدِم أرض الحبشة تنصَّر فيها وفارق الإسلام، ومات هناك نصرانياً؛ فخَلَفَ رسول الله ﷺ على امرأته من بعده أمِّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكان إذا مرَّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ يقول: فَتَّحْنا وصأصأتم. أي: قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد[3].

واحتمل ابن حجر في شرحه للحديث الذي روته زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ في إحداد المرأة على زوجها،

(١) الاستيعاب: ٣/ ٨٧٨؛ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: ٢/ ٢٩٤.

(٢) الاستيعاب: ٣/ ٨٧٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢٢٣.

وهو الحديث الذي رواه البخاري بلفظ: «ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب، فمسَّت ثم قالت: مالي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تُحِدُّ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا»[1]. احتمل ابن حجر أن تكون زينب ـ رضي الله عنها ـ قد روت هذا الحديث عندما جاءها الخبر بوفاة أخيها عبيد الله وقال: «ولا مانع أن يحزن المرء على قريبه الكافر ولاسيما إذا تذكَّر سوء مصيره».

ولا ينقضي العجب من هذا الرجل الذي دخل في دين الإسلام، وكان من صحابة رسول الله ﷺ، ثم ارتدَّ عن هذا الخير العظيم عندما سافر إلى بلاد الحبشة.. ولله في خلقه شؤون.

٣ ـ أبو أحمد عبد الله بن جحش: الأسدي، وهو أخ شقيق لأم المؤمنين زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ أبو جحش بن رئاب، وأمه أميمة بنت عبد المطلب، وكان

---

(١) الفتح: ٣/ ١٧٤.

أبو أحمد من السابقين إلى الإسلام، حيث أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم[1].

وكان أبو أحمد ضرير البصر، وكان يطوف في مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وهو من شعراء الصحابة، وفي سيرة ابن هشام طرف من أشعاره[2]. تزوَّج الفَرْعة بنة أبي سفيان بن حرب[3].

ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم عدا عليهم أبو سفيان بن حرب فباعها، فذكر ذلك عبد الله لرسول الله ﷺ، فوعده داراً في الجنة، ثم كلَّمه أبو أحمد فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال الناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد إنَّ رسول الله ﷺ يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عزَّ وجلّ، فأمسك عن كلام رسول الله ﷺ[4].

وفي رواية (الطبقات) أن عثمان سارَّه بشيء، فلم يعد

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٠٢.
(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٤٧٣.
(٣) المرجع السابق: ١/ ٤٧٠.
(٤) المرجع السابق: ١/ ٥٠٠.

يذكر داره إلى أن مات، وقد نقل عثمان له وعد رسول الله ﷺ بأنَّ له داراً في الجنة[1].

وحضر أبو أحمد وفاة أخته زينب بنت جحش، وخرج يحمل سريرها وهو يبكي، فقال له عمر رضي الله عنه: يا أبا أحمد تنحَّ عن السرير لا يعنتك الناس ـ أي لا يشقون عليك ـ فقال أبو أحمد: يا عمر هذه التي نلنا بها كل خير، وإنَّ هذا ـ أي البكاء ـ يُبَرِّد حَرَّ ما أجد. فقال له عمر: الزم الزم[2].

وذكر ابن حجر في الفتح[3] أنَّ عبداً هذا عاش إلى خلافة عمر، ومات بعد أخته زينب ـ رضي الله عنها ـ بسنة.

* * *

أخواتها:

أ ـ حمنة بنت جحش: وهي أخت أبي أحمد وعبد الله وعبيد الله، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ[4].

---

(١) الطبقات: ٨/ ١٠٢.
(٢) حياة الصحابة: ٢/ ٥٩٦.
(٣) الفتح: ٣/ ١٧٦.
(٤) تهذيب الكمال: ٣٥/ ١٨٤.

ويبدو أنها تزوجت ثلاث مرات[1]. وأول أزواجها: الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف، وثانيهما: الصحابي الشهيد مصعب بن عمير، وكان له منها ابنة، وبقي معها إلى أن استشهد يوم أحد، ثم تزوجها الصحابي الثالث طلحة بن عبيد الله، فولدت له محمداً وعمران.

وذكر أصحاب السير أنها خرجت في غزوة أحد تسقي العطشى وتداوي الجرحى، ولما انتهت المعركة مضى النساء يسألن عن أزواجهن وأولادهن... وكانت حمنة من بين السائلات، فأخبرها رسول الله ﷺ باستشهاد خالها حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله وغفر له؛ ثم قال: يا حمنة احتسبي أخاكِ عبد الله، فاسترجعت وطلبت من الله له الرحمة والغفران، ثم قال لها رسول الله ﷺ: يا حمنة؛ احتسبي زوجكِ مصعب بن عمير، فقالت: يا حرباه؛ فقال النبي ﷺ: إنَّ زوج المرأة منها لبمكان[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٥؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٤١؛ كتاب الطبقات لـ خليفة بن خياط، ص ٣٣٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٤١؛ وانظر (مصعب بن عمير) لـ محمد حسن بريغش، ص ٤٥.

وحمنة هذه كان لها شرف الهجرة من مكة إلى المدينة[1].

وقد ورد اسمها في حديث الإفك الذي رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها[2]، وفي هذا الحديث: «وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟؛ فقالت: يا رسول الله أَحْمي سمعي وبصري، ما علمتُ إلا خيراً، وطَفِقَتْ أختها حمنة تحارب لها فهلكتْ فيمَنْ هلك من أصحاب الإفك».

ويقول ابن حجر[3]: «قولها: تحارب لها أي: تجادل لها وتتعصَّب، وتحكي ما قال أهل الإفك لتنخفض منزلة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وتعلو مرتبة أختها زينب ـ رضي الله عنها ـ قولها: فهلكت أي: حدَّثت فيمن حدَّث أو أثمت مع مَن أَثِمَ».

وقد ذكر المؤرخون أنَّ لـ حمنة ولداً من طلحة بن عبيد الله، وكان عابداً يقال له السَّجَّاد، ويكنى أبا القاسم،

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٥.

(٢) صحيح البخاري ٦٥، كتاب التفسير، باب «لولا إذ سمعتموه»؛ الفتح: ٨/ ٣٠٩.

(٣) الفتح: ٨/ ٣٣٦.

وشهد يوم الجمل، فنهى عنه علي ـ رضي الله عنه ـ فقال: إياكم وصاحب البرنس فقتله رجل[1].

٢ً ـ **حبيبة بنت جحش**: وهي أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، فهي أختٌ شقيقة لزينب ـ رضي الله عنها ـ وقد أخذت لقب المستحاضة، للحديث الذي روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ عنها أنها استحيضت سبع سنين، وكانت زوجة لعبد الرحمن بن عوف، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال لها: إنما هذا عِرْق وليس بحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغتسلي ثم صلّي؛ قالت: فكانت تغتسل عند كل صلاة ثم تصلي، وكانت تقعد في مِرْكن لأختها زينب[2].

وذكر صاحب (الطبقات) أنها لم تلد لعبد الرحمن بن عوف شيئاً، كما أفاد أنَّ بعض أصحاب الحديث يقلب كنيتها فيقول: أم حَبيبة، وإنما هي أم حبيب، واسمها حبيبة[3].

---

(١) المعارف: ٢٣١.
(٢) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٨٣؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٤٢؛ والمركن: وعاء.
(٣) الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٤٢.

ولكن الحديث الذي أورده الإمام أحمد في مسنده فيه: «استحيضت أم حبيبة بنت جحش»[1]، ويروي الإمام أحمد في حديث آخر[2] حديث الاستحاضة عن زينب نفسها، وكذلك الإمام مسلم بلفظ: «وعن عائشة أن زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ كانت تستحاض سبع سنين»[3]، كما روى مسلم حديث الاستحاضة عن أختها أم حبيبة، ويحتمل أن تكون الأختان قد عانتا آثار الاستحاضة هذه المدة الطويلة.

* * *

خالتها:

هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب[4]؛ سيدة قرشية، شاعرة باسلة، وهي عمة رسول الله ﷺ، أسلمت قبل الهجرة، قال الذهبي: «والصحيح أنه ما أسلم من عمات النبي ﷺ سواها»[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٨٣.
(٢) المصدر السابق: ٦/ ٢٣٧.
(٣) صحيح مسلم: ١/ ٢٦٤.
(٤) السيرة النبوية: ١/ ١٠٨.
(٥) سير الأعلام: ٢/ ٢٠٧.

وهاجرت إلى المدينة المنورة، وكان رسول الله ﷺ إذا خرج لقتال عدوه من المدينة يرفع أزواجه ونساءه في حصن حسان بن ثابت، فلما كان يوم الخندق صعدت صفية معهن، وتخلف عندهن حسان، فجاء يهودي فلصق بالحصن يتجسس، فقالت صفية لحسان: انزل إليه فاقتله؛ فتوانى حسان، فأخذت عموداً ونزلت، ففتحت الباب وحملت على الجاسوس فقتلته[1].

ورأت المسلمين يتراجعون يوم أُحُد؛ فتقدَّمت وبيدها رمح تضرب في وجوه الناس وتقول: انهزمتم عن رسول الله، فأشار النبي ﷺ إلى الزبير بن العوام أن يبعدها عن أخيها حمزة - وكان قد بُقِرَ بطنه - فكره رسول الله ﷺ أن تراه، فناداها الزبير أن تتنحَّى، فقالت: لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله، ثم سمح لها رسول الله ﷺ[2]، فأقبلت حتى رأت أخاها. لها مراثٍ رقيقة، وفي شعرها جودة[3].

(١) السيرة النبوية: ٣/ ٢٢٨؛ وانظر سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٧٠.
(٢) السيرة النبوية: ٣/ ٩٧.
(٣) المصدر السابق: ١/ ١٦٩.

ماتت في المدينة سنة عشرين ودُفِنت بالبقيع، ولها بضع وسبعون سنة[1].

* * *

خـالهـا:

هـو حمـزة بن عبد المطلـب بن هاشـم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أسد الله القرشي الهاشمي المكي، ثم المدني البدري الشهيد، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة.

قال ابن إسحاق: «لما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد امتنع، وأن حمزة سيمنعه[2]، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «حمزة سيد الشهداء، ولولا أن تجد صفية لتركْتُ دَفْنَـه حتى يُـحشر في بطون الطير والسباع»[3].

وكان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٧١.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١/ ١٧٢.
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١/ ٣٧٢؛ أسد الغابة: ٢/ ٥٣.

بسيفين، ويقول: أنا أسد الله[1]. قُتل شهيداً يوم أُحد، قتله وحشي. قال ابن هشام في سيرته[2]: «دعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشي، يقذف بحربة له، قلّما يخطئ بها؛ فقال له: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمد بعمّي طعيمة بن عدي فأنت عتيق. قال وحشي: والله إني لأنظر إلى حمزة يُهلك الناس بسيفه ما يبقي به شيئاً، وهززتُ حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، حتى إذا مات جئتُ فأخذت حربتي ثم تنحَّيتُ إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره؛ ووُجد حمزة بعد قتله قد بُقِرَ بطنه، واحتمل وحشي كَبِدَه إلى هند في نَذْرٍ نذرته حين قُتِل أبوها يوم بدر؛ وكُفِّن رضي الله عنه في نَمِرة إذا خُـمِّرَ رأسه بدت رجلاه، وإذا خُـمِّرت رجلاه بدا رأسه؛ فغطوا قدميه بشيء من الشجر».

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قال: لئن ظَفِرت بقريش لأمثِّلَنَّ بثلاثين منهم، فلما رأى أصحابُ رسول الله ﷺ ما به من الجزع؛ قالوا: لئن ظفرنا بهم لنُمَثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يمثلها أحد من العرب بأحد؛ فأنزل الله تعالى:

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١/ ١٧٧.

(٢) السيرة النبوية: ٣/ ٦١.

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، فعفا رسول الله ﷺ[1].

* * *

ابن خالتها:

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة من أهل الشورى، وأول مَنْ سَلَّ سيفه في سبيل الله؛ أسلم وهو حدث، له ست عشرة سنة؛ وقد ورد أنَّ الزبير كان رجلاً طويلاً، إذا ركب خطَّت رجلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين.

هاجر وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان عمه إذا أراد أن يفتنه عن دينه علَّقه ودخَّن عليه، والزبير يقول: لا أرجع إلى الكفر أبداً. قاتل الزبير مع رسول الله ﷺ وله من العمر سبع عشرة سنة، وكان يوم بدر مع رسول الله ﷺ، وقيل: كانت على الزبير

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١/ ١٧٦ ـ ١٨٠.

يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير.

ولما انصرف المشركون من أُحد، وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم؛ خاف أن يرجعوا، فقال: مَنْ ينتدب لهؤلاء في آثارهم حتى يعلموا أنَّ بنا قوَّة؟ فانتدب أبا بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا. قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

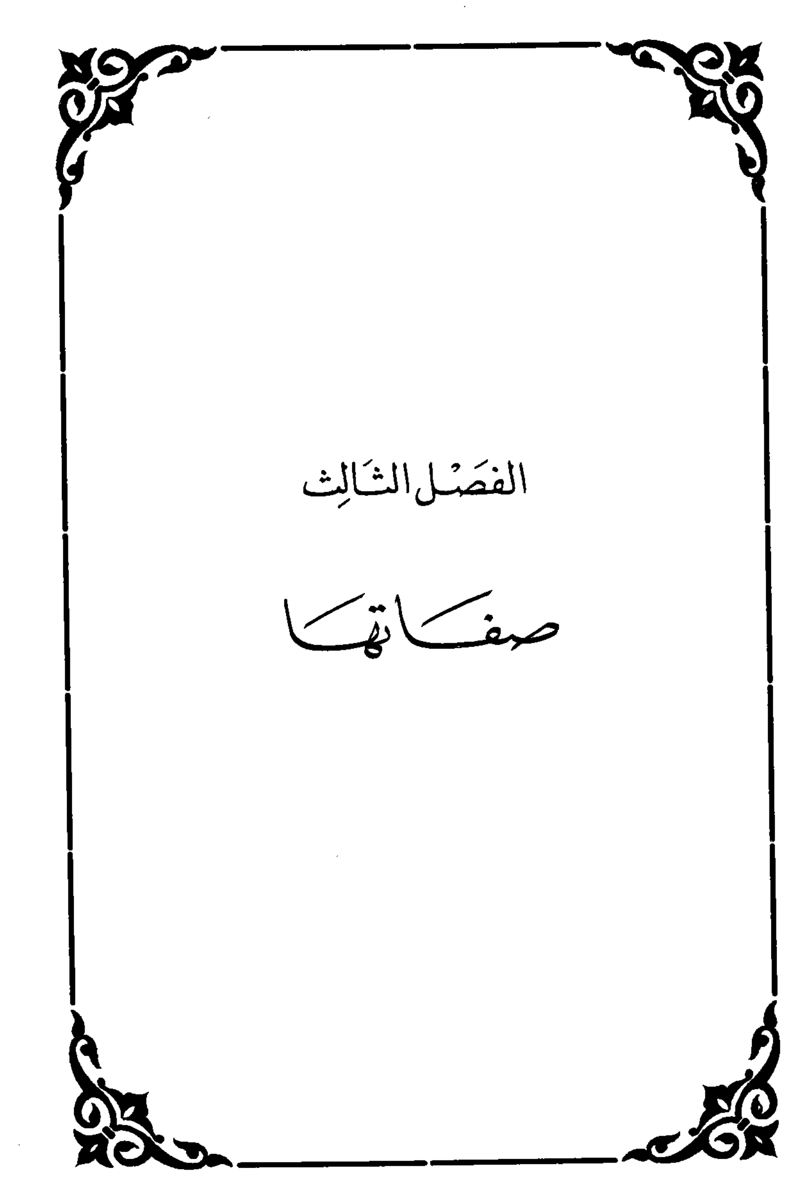
وقال رسول الله ﷺ يوم الخندق: «مَنْ يأتينا بخبر بني قريظة؟»، فقال الزبير: أنا؛ فذهب على فرس، فجاء بخبرهم، ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا؛ فذهب. ثم الثالثة؛ فقال النبي ﷺ: «لكل نبي حواري، وحواريَّ الزبير».

قُتل في موقعة الجمل في رجب سنة ست وثلاثين، وله من العمر أربع وستون سنة، طعنه ابن جرموز، ودُفن بوادي السباع، وبكاه علي رضي الله عنه هو وأصحابه[1].

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١/ ٤١ ـ ٦١؛ الإصابة: ١/ ٥٤٥.



الفَصْل الثَالِث

صِفَاتُهَا



صفاتها

حَظِيت السيدة زينب بصفات عالية، سنعرض لها في الصفحات التالية، ونحاول أن نقتبس منها ما يكون فيه هدى ونور:

١ ـ ملتزمة بدينها:

تميزت كل واحدة من أمهات المؤمنين بجانب مُعين عُرفت به وبرزت فيه، وإن كنَّ جميعاً يحملن خصائص البيت النبوي الذي ربَّاه رسول الله ﷺ على عينه.

وها هي زينب أم المؤمنين رضي الله عنها تتميز بدينها وورعها، والتزامها الواضح بأهداب التوجيهات النبوية التي يكون منها عزائم وطاقات قد لا يقدر عليها الفرد العادي؛ ومن مظاهر ذلك:

أ ـ كثرة الخير والصدقة: يصف كتَّاب السيرة ورواة الحديث

السيدة زينب رضي الله عنها بأنها كثيرة الخير والصدقة[1]؛ فكانت رضي الله عنها من سادة النساء جوداً ومعروفاً[2]، وكانت تُعرف بأم المساكين[3]. والمعروف أنَّ مثل هذا اللقب لا تناله المرأة إلا بتودُّدها للفقراء والمحتاجين، وكثرة حدبها عليهم وإنفاقها عليهم.

وقد وصفها رسول الله ﷺ بطول اليد كناية عن الصدقة، فكانت رضي الله عنها صناع اليدين تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله تعالى. وكان لرسول الله ﷺ تسع نسوة، فقال يوماً: «خيركن أطولكنَّ يداً»، فقامت كل واحدة تضع يدها على الجدار، فقال: «لست أعني هذا، أَصْنَعُكُنَّ يدين»[4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكنَّ يداً». قالت: فكنَّ يتطاولن أَيَّتُهن أطول يداً، فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق[5].

---

(١) أسد الغابة: ٥/ ٤٦٤.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٧،
(٣) المصدر السابق: ٢/ ٢١٢.
(٤) أزواج النبي ﷺ، ص ١٨٧.
(٥) صحيح مسلم: ٤/ ١٩٠٧.

كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: قال رسول الله ﷺ: «يتبعني أطولكنَّ يداً»، قالت عائشة: فكنَّا إذا اجتمعنا بعد رسول الله ﷺ نمدُّ أيدينا في الحائط نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا، فعرفت أنَّ النبي ﷺ أراد بطول اليد الصدقة، وكانت امرأة صناع اليد، وكانت تعمل بيدها وتتصدَّق به في سبيل الله[1].

وكان عطاء زينب الذي يُحمل إليها من بيت المال اثني عشر ألف درهم، ولم تأخذه إلا عاماً واحداً حُمل إليها، فجعلت تقول: «اللهم لا يدركني قابل هذا المال فإنه فتنة»، ثم قسمَته في أهل رحمها وفي أهل الحاجة حتى أتت عليه كله، فبلغ ذلك عمر، فقال: «هذه امرأة يُراد بها خير»، فوقف على بابها، وأرسل بالسلام وقال: «قد بلغني ما فرَّقْتِ»، فأرسل إليها بألف درهم يستنفقها، فسلكت بها طريق ذلك المال[2].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٨/١٠٨؛ السمط الثمين، ص ١٢٨؛ حلية الأولياء: ٢/ ٥٤.
(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ١١٠؛ أسد الغابة: ٥/ ٤٦٥.

وفي رواية أخرى: أرسل إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عطاءها، فلما أُدخِل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني، قالوا: هذا كلُّه لكِ؛ قالت: سبحان الله!! صبُّوه واطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت لبَرْزَة بنت رافع ـ راوية هذا الخبر ـ: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة، فاذهبي بها إلى بني فلان، وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها بَرْزَة بنت رافع: غفر الله لكِ يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حقّ، فقالت: فلكم ما تحت الثوب، فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت يدها إلى السماء؛ فقالت: «اللهم لا يدركني عطاءٌ لعمر بعد عامي هذا؛ فماتت قبله»[1].

وقد أثنت السيدة عائشة رضي الله عنها على السيدة زينب رضي الله عنها بأنَّها حميدة متعبّدة مفزع اليتامى والأرامل[2].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٨/ ١٠٩؛ صفة الصفوة: ٢/ ٤٨ ـ ٤٩؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٢؛ وانظر: شخصية المرأة المسلمة، ص ٣٦٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ١١٠؛ أزواج النبي ﷺ، ص ١٨٩؛ الإصابة: ٨/ ١٩٢.

ب ـ الورع: ذكر المؤرخون صفة الورع التي اتَّسمت بها السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ[1]، ولعلَّ أوضح مثال على ذلك موقفها من حادثة الإفك المعروفة التي اتُّهمت بها السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي منها براء. فمن المعروف عن المرأة التي لديها ضرَّة حرصها أحياناً على إيقاعها في الزلاَّت، وانتهازها المناسبات السانحة لتوجيه الاتّهام بحقٍّ أو بغير حقّ، وذلك للغيرة والمنافسة الشديدة التي تحصل عادة بين المرأة وضرّتها؛ ولو كانت السيدة زينب من هذا الصنف من النساء لكان لها ما تستغله في حادثة الاتهام، وذلك لأنَّ الجوّ العام يساعد على ذلك، فهاهي الألسنة تتناوش السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ ولا ينزل الوحي بشيء، والرسول ﷺ في طور البحث والسؤال، فالموقف دقيق صعب، فما رأي السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ؟ إننا نودُّ أن نسمعه من السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ:

جاء في رواية البخاري في حديث الإفك: «قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب عن أمري، فقال: يا زينب؛ ماذا علمتِ أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٢.

أحمي سمعي وبصري، ما علمت عليها إلا خيراً. قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكَتْ فيمَنْ هلك من أصحاب الإفك »[1].

قال ابن حجر في قول زينب: «وأحمي سمعي وبصري»: أي من الحماية، فلا أنسب إليها ما لم أسمع وأبصر؛ وشرح قولها «تساميني» بقوله: أي تعاليني، من السمو، وهو العلو والارتفاع، أي: تطلب من العلو والرفعة والحَظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أنَّ الذي لها عنده مثل الذي لي عنده، « فعصمها الله » أي: حفظها ومنعها، « بالورع » ، أي: بالمحافظة على دينها ومجانبة ما تخشى سوء عاقبته.

والحق أنَّ في إجابة السيدة زينب لرسول الله ﷺ درساً بليغاً ينبغي أن تَعيه المسلمات اليوم في حياتهن الاجتماعية؛ ففي بيوتاتنا حيف كبير، وخلل عظيم تمارسه كثير من النسوة، وقد أحسَّت السيدة عائشة بأن في موقف حمنة ـ أخت السيدة زينب ـ متابعة لهذا الحيف والخلل، عبَّرت عنه بقولها: « وطفقتْ أختها

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٣٠٩؛ كتاب التفسير، ص ٦٥ .

حمنة تحارب لها، فهلكَتْ فيمَنْ هلك من أصحاب الإفك»، أي: حدَّثت فيمَن حدَّث، أو أثمت مع مَن أثم، فمضت تجادل لصالح السيدة زينب وتتعصَّب لها، وتحكي ما قال أهل الإفك لتنخفض منزلة السيدة عائشة، وتعلو مرتبة أختها السيدة زينب[1].

فكلٌّ من السيدة زينب وحمنة ـ رضي الله عنهما ـ تمثل واقعاً نشهده اليوم في سير حياتنا الاجتماعية المعاصرة؛ ففي الكفَّة الأولى موقف النساء غير الملتزمات المتربِّيات على الورع والالتزام، ومحاربة النفس الأمَّارة بالسوء، التي قد تشهد بما لم ترَ، وتُقِرُّ بما لم تعرف، فتكون الفوضى في حساب الأمور، فيُظلم فريق كبير من جرَّاء شهوة الكلام وشهادة الزور، فتحدث الشحناء والبغضاء، وقد يقع طلاق بين الرجل وزوجته، أو الهجران الطويل، وتلوح بالأفق الأحقاد والأقاويل؛

وفي الكفة الثانية يبرز موقف النساء العاقلات اللواتي استوعَبْنَ النصوص الشرعية ونَقَلْنَها من دائرة الاستماع إلى دائرة الفعل والتطبيق، فهؤلاء لا يشهَدنَ إلا بما عرفن، ولا يظهرن

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٣٣٦.

بمظهر ذات الوجهين، ولا يحكمن إلا على ما رأينه، ولا يتتبَّعنَ الأعراض. ومن هذه النصوص قوله ﷺ: «لا تؤذوا عباد الله، ولا تُعيِّروهم، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه مَن تطلَّب عورة أخيه المسلم، طلب الله عورته، حتى يفضحه في بيته»(١). ويقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»(٢).

وجاء في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّماً؛ فلا تظالموا»(٣).

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه، ومَن كان في حاجة أخيه المسلم؛ كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مسلم كربة؛ فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومَنْ

---

(١) رواه أحمد: ٥/ ٢٧٩، وإسناده حسن.
(٢) صحيح مسلم: ١٦/ ١٣٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم.
(٣) المصدر السابق: ١٦/ ١٣٢.

ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[1].

وليس هذا الموقف بغريب عن السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ فعائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: «ولم أرَ امرأة قطّ خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة»[2].

ومن مظاهر ورعها ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت شديدة الالتزام بتوجيهاته ﷺ، فمن ذلك أنَّ الرسول ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: «إنَّكنَّ لا تَعُدْنَ تخرجْنَ من بيوتكن وتلزمْنَ الحُصُر»[3]، وقد التزم نساؤه ـ رضي الله عنهنَّ ـ بذلك بعده، غير أنَّهنَّ كنَّ يحججن إلا سَودَة بنت زمعة وزينب بنت جحش ـ رضي الله عنهما ـ قالتا: لا تحرِّكنا دابة بعد النبي ﷺ[4].

ومن مظاهر التزامها بدينها، أنها فهمت توجيهات الإسلام

---

(١) فتح الباري: ٥/ ٩٧، كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسلمه.
(٢) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٩٢.
(٣) الحصر: جمع حصير وهو ما يبسط في البيوت.
(٤) أسد الغابة: ٥/ ٤٦٥؛ المغازي: ٣/ ١١١٥؛ والحديث في المسند: ٦/ ٣٢٤.

في رعاية الزوجة لزوجها وعنايتها به وحرصها على إسعاده والاهتمام به، وقد روى ابن ماجة عن زينب ـ رضي الله عنها ـ أنه كان لها مِخْضَب[1] من صفر ـ نحاس ـ قالت: كنت أُرَجّل رأس رسول الله ﷺ فيه، وكانت زينب حريصة كل الحرص على راحته في بيته، وتُبعِد عنه كل ما يعكّر عليه صفاءه عندما يُقبل عليه الناس في حاجاتهم المتعدّدة ومصالحهم المختلفة.

وقد روى مسلم[2] في باب «ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة»: «فجاءه بعض آله، وهو يومئذٍ عند زينب بنت جحش، وقالوا له: «فجئنا لتؤمّرنا على بعض هذه الصدقات»، فسكت رسول الله ﷺ طويلاً، وجعلت زينب تُلمع ـ تشير بيدها ـ علينا من وراء الحجاب أن لا تُكلِّماه»؛ ثم قال: «إنَّ الصدقة لا تنبغي لآل محمد». فهي بهذا الموقف الزوجة الحريصة على صَفْوِ زوجها رسول الله ﷺ، الذي اختطَّ منهجاً في عفة آل بيته عن الصدقات، فباشرت بالإشارة الخفية لهؤلاء القوم بأنَّ هذا الطلب يزعجه، وينبغي أن لا يكلّموه في هذا الشأن.

---

(١) المخضب: إناء معيَّن.

(٢) صحيح مسلم: ٢/ ٧٥٣.

واليوم لا ينقضي عجبي من بعض النساء اللواتي يعرفن أسباب هناءة أزواجهنَّ من قول أو عمل، فلا يحاوِلْنَ تهيئة هذه الأسباب.

جـ ـ الأوَّاهة الخاشعة الصالحة: وصف المؤرِّخون السيدة زينب بقولهم: «الخاشعة الراضية الأوَّاهة الداعية»[1]، والأوَّاهة هي الخاشعة في دعائها المتضرّعة[2].

وفي صحيح مسلم: «تقول السيدة عائشة عن السيدة زينب ـ رضي الله عنهما ـ: ولم أرَ امرأة قطّ خيراً في الدين من زينب وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم أمانة وصدقة»[3].

وتشهد السيدة أم سَلَمَة ـ رضي الله عنها ـ شهادةً ثمينة في السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ فتقول: «كانت زينب لرسول الله ﷺ مُعْجِبة، وكان يستكثر منها، وكانت صالحة قوَّامة صوَّامة، تعمل بيدها وتتصدّق بذلك كلّه على المساكين»[4].

---

(١) حلية الأولياء: ٢/ ٥١؛ أزواج النبي ﷺ، ص ١٨٩.
(٢) المصدر السابق: ٢/ ٥٣.
(٣) صحيح مسلم: ١٥/ ٢٠٦١، كتاب فضائل الصحابة.
(٤) زوجات النبي ﷺ، ص ١١٠.

وهي في سبيل تحقيق غاياتها في تقديم الخير لمستحقيه، تبدو على هيئة من الجهد والابتذال، ففي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ في وصف السيدة زينب: «وأشدّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدَّقُ به وتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى»[1].

وقد يلاحَظ عليها في بعض الأحيان ـ كما في صحيح مسلم ـ سَوْرَةٌ من حِدَّة ـ أي سُرْعة غضب ـ ولكنّها لا تتجاوز بها الحدود المقبولة، فلا تصرّ عليها، وسرعان ما تعود إلى طبيعة الاعتدال؛ قالت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «... ما عدا سَوْرةً من حِدَّة، كانت فيها، تُسْرِع منها الفيئة»[2].

ومن مظاهر صلاحها رضي الله عنها أنَّها صوَّامة قوَّامة لليل في صلاتها[3].

وقد دخل رسول الله ﷺ منزله ومعه عمر ـ رضي الله عنه ـ فإذا هو بالسيدة زينب تصلّي، وهي تدعو في صلاتها؛ فقال النبي ﷺ: «إنَّها الأوَّاهة»[4].

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٩٢.
(٢) المصدر السابق: ٤/ ١٨٩٢.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٧.
(٤) أزواج النبي ﷺ: ص ١١٨.

وتنقل كتب الحديث موقفاً عجيباً عنها، بالغَتْ من خلاله في طلبها للعبادة واستغراقها فيه؛ فقد روى البخاري ومسلم: «دخل رسول الله ﷺ المسجد، وحبلٌ ممدود بين ساريتين؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: لزينب تصلّي، فإذا كَسِلت أو فَتَرتْ أمسكتْ به؛ فقال: «حُلُّوه، ليصلِّ أحدُكم نشاطَه فإذا كَسِل أو فَتَر قعد»[1].

قال ابن حجر: «وفي الحديث الحثُّ على الاقتصاد في العبادة، والنهي عن التعمُّق فيها، والأمر بالإقبال عليها بنشاط، وفيه إزالة المنكر باليد واللسان، وجواز تنفُّل النساء في المسجد؛ واستدلَّ بالحديث على كراهة هذا التعلُّق في الحبل في الصلاة».

والحديث كما هو واضح دليلٌ على الرغبة الشديدة التي كانت عند السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ في العبادة والتفرُّغ لها، وإنهاك الجسم في سبيلها؛ وقد كان لتدخُّل رسول الله ﷺ ـ لبيان منهج الإسلام في الاقتصاد في العبادة ـ أثر كبير في اعتدالها وتصحيح موقفها، على أنَّ الشاهد واضحٌ في الحديث، حيث ظهر استعدادها النفسي الواسع للإقبال على العبادة والاستغراق فيها.

---

(١) صحيح مسلم: : ١/ ٥٤٢؛ فتح الباري: ٣/ ٤٣.

وكانت السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ سرعان ما تستجيب لأية سانحة تلمع أمامها لتحقيق المزيد من العبادة والتبتُّل؛ فقد روى الإمام أحمد في مسنده[1]: عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ ذكر أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فاستأذَنَتْه عائشة ـ رضي الله عنها ـ فأذن لها، فأمرت ببنائها، فضُرِبَ، وسألت حفصة عائشة ـ رضي الله عنهما ـ أن تستأذن لها رسول الله ﷺ؛ ففعلت، فأمرت ببنائها فَضُرِب، فلما رأت زينب ـ رضي الله عنها ـ أمرت ببنائها فضُرِب، وكان رسول الله ﷺ إذا صلّى انصرف، فبصر بالأبنية، فقال: ما هذه؟ قالوا: بناء عائشة وحفصة وزينب، فقال النبي ﷺ: البرَّ أردتنَّ بهذا، ما أنا بمعتكفٍ، فرجع؛ فلما أفطر اعتكف عشر شوال.

فهاهي السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ تستفيد من المناسبة التي سنحت لها للعبادة، فتعزم على بناء خباء لها تتفرَّغ فيه للعبادة من صيام وصلاة وقيام.

* * *

---

(١) مسند أحمد: ٦/ ٨٤؛ صحيح مسلم: ٢/ ٨٣١.

٢ ـ اعتزازها بنفسها :

تشير روايات عديدة إلى هذه الصفة المتأصلة في نفس السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ؛ ومن تلك الروايات ما ذكره ابن كثير في تفسيره حول أسباب نزول الآية الكريمة : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦]. قال ابن كثير: «وذلك أنّ رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: بل فانكحيه، قالت: يا رسول الله أؤامر في نفسي. فبينما هما يتحدثان أنزل الله تعالى هذه الآية على رسوله ﷺ، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ قال رسول الله ﷺ: نعم. قالت: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي.

يقول الأستاذ سيد قطب: «أراد النبي ﷺ أن يحطم الفوارق الطبقية الموروثة في الجماعة المسلمة فيرد الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وكان الموالي ـ وهم الرقيق المحرر ـ طبقة أدنى من طبقة السادة، ومن هؤلاء زيد، فأراد رسول الله أن يحقق المساواة

الكاملة بتزويجه من شريفة من بني هاشم، قريبته زينب؛ ليُسقِط تلك الفوارق الطبقية بنفسه في أسرته. وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله ﷺ تتخذ منه الجماعة المسلمة أسوة، وتسير البشرية كلها على هداه في هذا الطريق[1].

ويذكر صاحب الطبقات[2] في هذه الواقعة أنها قالت لرسول الله ﷺ ـ حين خطبها لزيد ـ: يا رسول الله! لا أرضاه لنفسي وأنا أيّم[3] قريش. كما يذكر صاحب «السمط الثمين» أنها كانت تردِّد: أنا سيدة أبناء عبد شمس[4].

وسوف نفصِّل إن شاء الله في موضوع زواجها من زيد، ولكننا هنا نقتطف من بعض روايات هذا الزواج ما يفيد اعتزازها العالي بنفسها، قال ابن حجر: وفي مرسل الشعبي: «قالت زينب: يا رسول الله أنا أعظم نسائك عليك حقاً، أنا خيرهُنَّ منكحاً وأكرمهن سفيراً، وأقربهن رحماً، فزوَّجَنيك الرحمن من

---

(١) الظلال: ٥/ ٢٨٦٥.
(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٠١.
(٣) الأيم من النساء: مَنْ لا زوج لها، بكراً كانت أو ثيباً.
(٤) السمط الثمين، ص ١٢٩.

فوق عرشه، وكان جبريل هو السفير بذلك، وأنا ابنة عمتك، وليس لك من نسائك قريبة غيري[1]. وفي صحيح البخاري: أن السيدة زينب كانت تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: إن الله أنكحني من السماء[2].

ومن الروايات التي تشير إلى حدَّتها واعتزازها بنفسها، وقد تشير أيضاً إلى الغَيْرة التي تحدث بين الضرائر، أنّ بعيراً للسيدة صفية بنت حيي أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أصابه المرض، وكان عند السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ بعير زائد على حاجتها، فطلب رسول الله ﷺ أن تعطيه للسيدة صفية ـ رضي الله عنها ـ لتفيد منه. فأجابته السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ: أنا أعطي تلك اليهودية؟. وهذا جوابٌ جافٌّ لا يليق أن يصدر من امرأة تجاه ضرتها، ناهيك عن أن يقال هذا في بيت النبي ﷺ، فعزم ﷺ على جزاء كبير تلقاه السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ بسبب جوابها هذا، وقرر أن يهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر. وتقول السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ: حتى يئست منه، أي: شعرت بأنه سيهجرها هجراناً كاملاً، ثم

---

(١) فتح الباري: ١٣/ ٤٢٣.
(٢) المرجع السابق: ١٣/ ٤٢٥، ص ٩٧ كتاب التوحيد.

شعر رسول الله ﷺ بأنها قد استوفت جزاءها فعاد إليها[١].

وفي مسند الإمام أحمد[٢] ـ رضي الله عنه ـ تتمة ذلك عن السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ: «فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها فرأت ظله. فقالت: إن هذا لَظِلُّ رجل، وما يدخل عليّ النبي ﷺ فَمنْ هذا؟ فدخل النبي ﷺ، فلما رأته قالت: يا رسول الله ما أدري ما أصنع حين دخلْتَ عليَّ، فمشى النبي ﷺ إلى سرير زينب ـ رضي الله عنها ـ وكان قد رُفع، فوضعه بيده ثم أصاب أهله ورضي عنهم».

ويروي ابن ماجه[٣] حديثاً فيه: أنّ زينب ـ رضي الله عنها ـ ردَّت في يوم من الأيام هدية لها من رسول الله ﷺ، وقد يدخل هذا في باب حِدَّتها واعتزازها بنفسها.

* * *

٣ ـ جمالها:

تُعدّد كتب التراجم صفات السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ

---

(١) مسند أحمد: ٦/ ١٣٢؛ أسد الغابة: ٥/ ٤٦٤؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ١٢٧؛ حياة الصحابة: ٢/ ٤١٦.

(٢) مسند أحمد: ٦/ ٣٣٨.

(٣) سنن ابن ماجه: ١/ ٦٦٤.

وتذكر من هذه الصفات الجمال[1]، ويقولون: إنها كانت بيضاء سمينة، من أتمّ نساء قريش[2]. ولعل هذه الصفة التي اتسمت بها من الأسباب التي جعلتها تزهو بنفسها وتردد: أنا سيدة أبناء عبد شمس[3].

* * *

وتذكر كتب الحديث: تفوّق السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ على السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ في خصيصة الجدال والحجج والخصومة، فكانت تتغلب عليها إذا حدثَتْ غَيْرة الضرائر بينهن، ففي الحديث الذي رواه مسلم[4] عن عائشة: «فاستطالت عليّ» فزينب تستطيل على عائشة بالخصومة والحجة، «وأنا ـ أي عائشة ـ رضي الله عنها ـ أرقُبُ رسول الله ﷺ، وأرقب طَرْفه هل يأذن لي فيها؟ قالت: فلم تَبْرح زينب حتى عرفتُ أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت عائشة: فلما وقعتُ لم أنْشَبْها ـ لم أمهلها ـ حين أَنْحَيْتُ

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٠١.
(٢) السمط الثمين، ص ١٠٧.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٩٢.

عليها ـ قَصَدْتُها ـ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: إنها ابنة أبي بكر.
وفي رواية لمسلم ثانية: فلما وقعتُ بها لم أَنْشَبها أن أثخنتُها غَلَبَةً[1].

وصلّى الله عليك يا رسول الله تفسح المجال لأزواجك في هذا التنافس البريء والجدال والخصومة اللطيفة التي تحدث عادة بين الضرائر، فيراقب الطرف الأول ـ وهو السيدة زينب ـ ويسمح لها بأن تعرض حجتها، ثم يسمح للطرف الثاني ـ وهو عائشة رضي الله عنها ـ ببيان قدراتها، ثم يعطي قراره النهائي بتفوق السيدة عائشة قائلاً: «إنها ابنة أبي بكر».

ومما يؤكِّد تفوُّق السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في مسنده[2]:
تقول السيدة عائشة: «فأقبلْتُ على زينب حتى رأيتها قد يبس ريقُها في فمها، ما تردُّ عليَّ شيئاً»، وهذا شأن مَنْ لا يملك قدرة ضافية على متابعة الخصومة والجدال، فهو يشعر أن طاقته محدودة في ذلك.

* * *

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٩٢.
(٢) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٩٣.

٤ ـ صَناع اليد:

ذكر المؤرخون وأصحاب السيرة أن السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ امرأة صناع اليد[١]. وجاء في اللسان: «وامرأة صَناع اليد أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين. وقال ابن السكيت: «امرأة صناع إذا كانت رقيقة اليدين تُسَوّي الأشافي، وتخرز الدِّلاء وتَفريها»، يقال: امرأة صناع إذا كان لها صنعة تعمل بأيديها وتكسب بها»[٢].

وعن امرأة من بني أسد قالت: كنت يوماً عند زينب امرأة النبي ﷺ ونحن نصبغ ثياباً لها بمَغَرَّة[٣]، فبينما نحن كذلك إذ طلع علينا رسول الله ﷺ، فلما رأى المَغَرَّة رجع، فلما رأت زينب ذلك علمت أنه كره ذلك، فغسلته ووارَتْ كلَّ حمرة، فرجع فاطّلع، فلما لم ير شيئاً دخل»[٤]. فها هي الزوجة تلمح بذكائها وفطنتها ما يحب زوجها وما يكره من الأشياء فتسرع لترضي عينيه الكريمتين حتى لا تقعا على ما يسوءُه. وأشار

---

(١) أسد الغابة: ٥/ ٤٦٤.

(٢) اللسان: صنع: ٨/ ٢٠٩.

(٣) المغرَّة: هو الطين الأحمر.

(٤) بذل المجهود في حَل أبي دواد: ١٦/ ٣٩٥.

الذهبي إلى أنها كانت تدبغ وتخرز[1]. ويبدو أنها كانت حريصة على أن تتصدق بما تجنيه يداها.

وروى الإمام مسلم[2] في حديث عائشة: أنها لم تر امرأة قطّ خيراً من زينب. وتعدد مظاهر خيريَّتها: «وأشدّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدَّقُ به وتَقَرَّبُ به إلى الله». فهي تستغرق في هذا العمل، حتى إنها تبذل نفسها لإتقان ما تصنعه وتجويده، وكانت ظاهرة عادية في حياة السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ أن تعمل في بيتها.

وقد روى مسلم في صحيحه[3]: «أتى الرسول ﷺ امرأته زينب وهي تَمْعَسُ مَنيئة لها» أي تدلك الجِلْدَ. وهو أول ما يوضع في الدباغ.

وليس مما يُنقص من مروءة المرأة ودينها اليوم أن تتقن مهنة من المهن مما يناسب طبيعتها كالطب والتمريض والتدريس والخياطة والتطريز، فقد تلزمها في يوم من الأيام إذا أحسَّتْ بالحاجة إلى ثمار هذه المهن، وقد تفيد من خلالها بيتها

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٧.
(٢) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٩٢.
(٣) صحيح مسلم: ٢/ ١٠٢١.

وأولادها، وإن للمرأة المسلمة اليوم أسوة حسنة بأمثال السيدة زينب، وهي زوج النبي ﷺ.

* * *

٥ ـ روايتها لأحاديث الرسول ﷺ:

ذكر رواة الحديث الشريف اسم السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ لأنها سمعت من الرسول ﷺ طائفة من الأحاديث، وورد حديثها في كتب الحديث الستة، وروى عنها من الرجال: ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق مرسلاً، وكلثوم بن المصطلق الخزاعي، ومن النساء: أم حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت أبي سلمة[١].

* * *

(١) انظر تهذيب الكمال: ٣٥/ ١٨٤، سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٢، والكاشف: ٢/ ٥٠٨.



الفصل الرابع

إسلامها وهجرتها



إسلامها وهجرتها

كانت رضي الله عنها قديمة الإسلام[١]، ولم تذكر كتب التراجم قصة إسلامها. وقد هاجرت في زمن قريب من هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة[٢]. وكان سنها حين هاجرت إلى المدينة المنورة بضعاً وثلاثين سنة[٣].

ولم تذكر كتب التراجم أنها هاجرت إلى الحبشة، بيد أن صاحب كتاب «شهداء الإسلام في عهد النبوة»[٤] يرى أنها هاجرت، فقد قال: وكان على رأس بني جحش... عبد الله بن جحش سيد الحي، أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فهاجر هو وأخوه أبو أحمد وأخواتهما ـ زينب بنت جحش ـ

---

(١) أسد الغابة: ٥/ ٤٦٤؛ أعلام النساء: ٢/ ٥٩.
(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٠١؛ أعلام النساء: ٢/ ٥٩.
(٣) الطبقات الكبرى: ٨/ ١١٥.
(٤) شهداء الإسلام في عهد النبوة، ص/ ٤٦.

وحمنة بنت جحش وأم حبيبة بنت جحش . . . » .

وأنا أستبعد ذلك لأنني لم أقف على أية رواية تثبت ذلك، فقد فَصَّلَتْ كتب السيرة أسماء المهاجرين وقبائلهم ولكنها لم تذكر اسم زينب رضي الله عنها، ويبدو أنها بقيت في مكة وقت هجرة المسلمين إلى الحبشة.

* * *

الفصل الخامس

اشتراكها ببعض غزوات النبي صلى الله عليه وسلم



اشتراكها ببعض غزوات النبي ﷺ

١ ـ غزوة الطائف: أراد الرسول ﷺ المسير إلى الطائف بعد افتتاحه حُنيناً وبعث الطفيل بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ لهدم صنم عظيم من أصنام العرب يقال له: ذو الكفين، وأمره أن يجمع جيشاً من قومه ثم يوافيه بالطائف؛ فخرج الطفيل لأداء مهمته، فهدم صنم ذي الكفين، وجعل يحثو النار في وجهه، وانحدر معه من قومه أربعمئةٍ سراعاً، فوافوا رسول الله ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام[١].

وكان مع رسول الله ﷺ في غزوة الطائف امرأتان من نسائه: أم سلمة وزينب رضي الله عنهما[٢]. بيد أن كتب السيرة أمسكت عن الحديث في وصف الدور الذي كان تقوم به السيدة زينب رضي الله عنها في هذه الغزوة، وقد يكون هذا الدور هو

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٢٠٠.
(٢) المغازي: ٣/ ٩٢٦.

على عادة النساء في مثل هذه الغزوات مِنْ سَقْي القوم ومداواة الجرحى.

٢ ـ **غزوة خيبر**[١]: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية سنة ست، أقام بعض الأشهر في المدينة، ثم خرج إلى خيبر سنة سبع، وقد استنفر ﷺ مَنْ حوله مِمَّنْ شهد الحديبية يغزون معه، وشهدت حصون خيبر التي كان عليها يهودُ جولاتٍ شديدة من المعارك حتى فتح الله هذه الحصون عَنْوة، واجتمع للمسلمين في هذه الغزوة غنائم كثيرة.

وجاء في الطبقات[٢] أنّ رسول الله ﷺ أطعم زينب بنت جحش بخيبر ثمانين وسقاً تمراً وعشرين وسقاً قمحاً، ويقال: شعيراً. وذكر الذهبي أن رسول الله ﷺ أطعم زينب بخيبر مئة وسق[٣]. وهذا النص يفيد أنها أصابت من غنائم هذه الغزوة، فقد يكون ﷺ خَصَّها بهذه الأعطية لأنها شهدَتْها. وثمة احتمال بأنها لم تشترك بها، وإنما كانت في المدينة، وحينما عاد إليها

---

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٣١.
(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٠٧.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٥.

رسول الله ﷺ وَزَّع على المسلمين ما أصاب من الغزوة، فكان من نصيب زينب ذلك.

٣ ـ حجة الوداع[١]: شاء الله عز وجل أن يُري رسول الله ﷺ ثمار دعوته التي جاهد في سبيل إعلائها بضعة وعشرين عاماً، فاجتمع في المدينة خلق كثير يريدون أن يتعلموا ه ﷺ مناسك الحج، وانطلق رسول الله ﷺ من المدينة ومعه يع نسائه؛ ومنهن السيدة زينب رضي الله عنها، وفي هذه ة طلب رسول الله ﷺ من نسائه أن يلزمن بيوتهن، وذلك صيانة أمهات المؤمنين، فكنَّ كلهنَّ يحججن بعده إلا ت زمعة والسيدة زينب رضي الله عنها، قالتا: لا تُحرِّكنا لنبي ﷺ[٢].

* * *

٢/ ٢٥٧.

٤٠؛ المغازي: ٣/ ١١١٥.



الفصل السادس

زَوْجها الأوّل زَيْد بن حَارِثَة رضي الله عنه



زوجها الأول زيد بن حارثة رضي الله عنه

تزوجت السيدة زينب قبل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وسوف نفصِّل في مسألة زواجها منه في الفصول التالية، بيد أننا الآن نعرّف بترجمته على نحو موجز:

هو زيد بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان. الأمير الشهيد، المسمّى في سورة الأحزاب في قول تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

أبو أسامة الكلبي، ثم المحمدي، سيد الموالي وأسبقهم إلى الإسلام، وحِبُّ رسول الله ﷺ، وما أحب رسول الله ﷺ إلا طَيّباً، ولم يسمّ الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة.

وأم زيد بن حارثة سُعدى بنت ثعلبة بن عامر بن أفلت بن سِلسِلة من بني معن من طيء؛ زارت سُعدى أم زيد بن حارثة

قومها ومعها زيد، فأغارت خيل لبني القَيْن في الجاهلية، فمروا على بني معن رَهْط أم زيد، فاحتملوا زيداً وهو يومئذٍ غلام يَفَعة قد أوْصف، فوافوا به سوق عكاظ، فعرضوه للبيع؛ فلما أبصر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة غلاماً ذا ذؤابة قد أوقفه قومه للبيع بالبطحاء أتى خديجة، فقالت: كم ثمنه؟ قال: سبعمئة، قالت: خذ سبعمئة؛ فاشتراه، وجاء به إليها، فقال: أما إنه لو كان لي لأعتقته، قالت: فهو لك؛ فأعتقه.

وقيل: هو أول من أسلم. وقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: يا زيد أنت مولاي ومنّي وإليّ وأحبُّ القوم إلي، وقال له أيضاً: أنت أخونا ومولانا[1].

ويسوق ابن سعد في الطبقات[2] رواية بأن أباه بعد فترة عثر عليه وأراد أن يأخذه من محمد ﷺ، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك يا محمد أحداً، أنت مني بمكان الأب والأم، إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً؛ فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال: يا مَنْ حضر اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني؛ فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: ١/ ٢٢٠؛ الطبقات الكبرى: ٢/ ٤٠.
(٢) الطبقات الكبرى: ٢/ ٤١.

وانصرفا؛ فدُعي زيد بن محمد، حتى جاء الله بالإسلام؛ وقد أُلغي التبني في السنة الرابعة أو الخامسة من الهجرة.

شهد زيد بدراً وأُحُداً، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى المريسيع، وشهد الخندق والحديبية وخيبر، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ، وعقد له رسول الله ﷺ على الناس في غزوة مؤتة، وقدّمه على الأمراء، فلما التقى الجمعان كان الأمراء يقاتلون على أرجلهم، فأخذ زيد اللواء فقاتل وقاتل الناس معه حتى قُتِل طعناً بالرماح رضي الله عنه، وهو ابن خمس وخمسين سنة، وكانت غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة.

ولما بلغ رسول الله ﷺ قَتْل زيد وجعفر وابن رواحة، قام رسول الله ﷺ فذكر شأنهم، فبدأ بزيد، فقال: اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لزيد، ثلاثاً، اللهم اغفر لجعفر وعبد الله بن رواحة، ثم أتى منزل زيد بعد ذلك، فلقيته بنت زيد، فأجهشت بالبكاء في وجهه، فلما رآها رسول الله ﷺ بكى حتى انتحب؛ فقيل: ما هذا يا رسول الله؟ قال: شوق الحبيب إلى الحبيب.

وعن أبي بريدة عن أبيه: أنّ رسول الله ﷺ قال: دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة؛ فقلت: لِمَنْ أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة[1].

* * *

(١) انظر سير أعلام النبلاء: ١/ ٢٢٠ ـ ٢٣٠؛ الطبقات الكبرى: ٢/ ٤٠ ـ ٤٧.

الفصل السابع

زواجها من زيد رضي الله عنه



زواجها من زيد رضي الله عنه

توافد الرجال على أهل زينب يخطبونها، وهي المعروفة بحسبها ونسبها وجمالها. ويذكر المؤرخون أنها كلَّفت أختها حمنة باستشارة النبي ﷺ في أمر بعض الرجال الذين خطبوها، فعرضت حمنة الأمر عليه ﷺ، ولكن كان لرسول الله ﷺ رأي آخر، فقد قال[1]: «أين هي ممَّنْ يعلِّمها كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ؟» فهو بذلك يرى غير رأي السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ وأختها، إنه رضي لابنة عمته صاحب دين واستقامة وعلم، فأين هذا الخاطب الذي تذكرون اسمه مِنْ رجل يفوقه في الصفات الحميدة؟.

وتتشوق حمنة إلى معرفة هذا المشار إليه الموصوف بمَنْ يعلِّم زينب كتاب ربها وسنة نبيها، فسرعان ما سمَّاه رسولُ الله ﷺ، إنه زيد بن حارثة. ولم تُخْفِ حمنة ضيقها

---

(١) حلية الأولياء: ٢/ ٥٢.

وغضبها، فقالت: يا رسول الله أتزوِّج ابنة عمتك مولاك زيداً ـ وكان زيد مولى رسول الله ﷺ وولده بالتبني قد تباحث مع رسول الله ﷺ في أمر زواجه ورغبته في أن يخطب له ـ.

وهذا الجواب في الحقيقة يشير إلى مشكلة اجتماعية عميقة الجذور، فابنة عمته من قبيلة ذات حسب عال ونسب رفيع، وزيد ـ كما تبين في ترجمته السابقة ـ رقيق، فهو في عُرف القوم مولى، وأين الثرى من الثريا؟ إن بوناً شاسعاً بين الخاطب والمخطوبة، وهذا أمر تأباه تقاليدهم التي ارتضعوا لبانها منذ أمد بعيد، ودرج الصغير والكبير على التمسك بها.

وتعود حمنة إلى أختها زينب التي كانت تنتظر مشورة الرسول ﷺ، فأصاب زينبَ ذهول عميق ووجوم شديد، فقد غضبت غضباً أشدّ من غضب أختها، بل قالت قولاً أشدّ من قولها.

وفي البيت النبوي يلتقي رسول الله ﷺ زيداً ويحادثه في أمر الاقتراح الذي حملته حمنة إلى زينب، ويُسَرُّ زيد أيَّما سرور، ولكن رسول الله ﷺ لا يُخْفي أمر المصاعب التي تحيط بهذا الاقتراح وتنفيذه؛ فيقول لمولاه: لا أراها تفعل، إنها أكرم من ذلك نفساً، ومَنْ مثلُ رسول الله ﷺ في معرفة ما يحيط بالبيئة

العربية من أعرافٍ وتقاليد؟ ولكن لا بدَّ من معالجة الأمر بالحكمة للوصول إلى الغاية.

ويتابع زيد رجاءه ويعرف مكانة الرسول ﷺ عند الجميع، ويطلب منه أن يكلمها بهذا الشأن، ويذكر لها مكانة زيدٍ في قلب رسول الله ﷺ، فأجابه إنها امرأة لَسْناء[1]. وينفضُّ مجلس زيد مع النبي ﷺ من دون أن يتخذا إجراءات مباشرة للوصول إلى الموضوع. وتلمع المسألة في ذهن زيد وينطلق إلى علي بن أبي طالب يود أن يشركه في الموضوع نظراً لمكانته العالية عند الجميع ولقرابته القريبة من زينب.

ويذهب زيد وعلي إلى رسول الله ﷺ يطلبان منه متابعة الموضوع، وكان في ذهن رسول الله ﷺ تحقيق هذا الزواج لغاية بعيدة عظيمة وهي تضييقُ الهوة الهائلة بين الطبقات الاجتماعية في المجتمع المسلم، وإعلان شأن الكفاءة المبنية على الدين والعلم والتقوى؛ بمعنى أن تلغى معاني الكفاءة الاجتماعية المعتمدة على معاني الحسب والنسب، ويكون مكانها معاني التدين والخلق المشتق من الإسلام. ويطلب

---

(١) مع المفسرين والمستشرقين، ص/ ٦١.

رسول الله ﷺ من علي أن يمهّد للأمر، فيكلم أخا زينب.

ويمضي علي ولكنه يواجه عقبة كؤوداً وصعوبة بالغة، فالقوم كارهون، ويصعب عليهم أن يخلعوا هذا الرداء الثقيل الذي ورثوه كابراً عن كابر، وكأن لسان حال رسول الله ﷺ أنه يودُّ أن ينزل شيء من السماء في دعم هذه الغاية التي عزم عليها في إرساء قواعد الكفاءة الصحيحة، وتقوية أواصر معاني التقوى والدين. وتسير الأمور إلى حلقة الحسم والتنفيذ، فيرسل النبي ﷺ إلى زينب وأسرتها قائلاً بعبارة جادة: «قد رضيته لكم وأقضي أن تُنكحوه فأنكحوه»[1].

وتزدحم المشاعر والأفكار في فؤاد زينب، فتُنازعها كِفَّتان ثقيلتان: في الكفة الأولى رسول الله النبي الكريم هو صاحب الشفاعة والوساطة في هذا الطلب، ومَنْ هي القادرة على رَدِّه وكيف تجرؤ على معارضته؟.

وفي الكفة الثانية تاريخ طويل سُجِّل عليه ألفاظ: الحسب والنسب وبني هاشم وعبد المطلب، المولى، الرقيق، سيدة عبد شمس، حديث الناس، . . . والتفلُّت مِنْ هذه الألفاظ التي

---

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٣٢٠؛ الطبقات: ٨/ ١٠١.

تحمل معاني كثيرة أمر صعب يستحيل؛ إن في ذلك هدراً لحقوقها الراسخة، وطيّاً لأعرافٍ عميقة الجذور، ويبدو أنّ كفة هذه الأعراف هي الراجحة الفاعلة، فالتفتت إلى رسول الله ﷺ قائلة: «أنا خير منه حسباً يا رسول الله ولست بناكحته».

لا أرضاه لنفسي وأنا أيّم قريش.

أنا سيدة أبناء عبد شمس.

ويعاود رسول الله ﷺ قضاءه: قد رضيته لك فانكحيه. ثم تطلب زينب منه التريث قائلة: يا رسول الله أُؤامر نفسي.

وفي هذه المرحلة ينزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦]. فكان القول الفيصل الحاسم في ذلك. ومرَّ بنا في أسباب نزول هذه الآية ما كان مِنْ أمر زينب، إذ ترددت في قبولها عَرْض النبي ﷺ الزواج من زيد، فيخبرها رسول الله ﷺ بما نزل، وهنا أذعنت للأمر وأعلنت الطاعة والرضا، وتتوجه بالسؤال لرسول الله ﷺ: قد رضيته لي يا رسول الله زوجاً؟ فأجابها: نعم، فقالت: إذن لا أعصي الله ورسوله، قد أنكحته نفسي.

أراد رسول الله ﷺ أن يكون للجماعة المسلمة درس

عملي في تحطيم الفوارق الطبقية التي يقيم لها العرف الجاهلي منزلة كبيرة ليكون بدلاً منها معايير جديدة، هي معايير الكفاءة في الدين والتقوى، وكان إلى جانب هذه المقررات يعامِل طبقة معاملة راقية، ويعيد إليهم شأنهم، فكان يضع أمثال بلال وصهيب وسلمان في منزلة عالية، وذلك لإذابة الفوارق المصطنعة وتعميق مبدأ «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

يقول الأستاذ سيد قطب: «أراد رسول الله ﷺ أن يحقق المساواة الكاملة بتزويجه من شريفة من بني هاشم قريبته زينب ليُسقط تلك الفوارق الطبيعية بنفسه من أسرته، وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله ﷺ تتخذ منه الجماعة المسلمة أسوة، وتسير البشرية كلها على هداه في هذا الطريق»[١]. وكانت أحاديثه ﷺ تساهم في إذابة هذه الفوارق، وذلك من مثل قوله ﷺ: « إذا أتاكم مَنْ ترضون خلقه ودينه فزوّجوه»[٢].

ويرى الدكتور زاهر الألمعي أنَّ من أغراض زواج زيد بزينب مكافأة زيد على ما قدَّمه من تضحيات، وما تعرَّض له من

---

(١) الظلال: ٥/ ٢٨١٥.
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء: ١/ ٦٣٢.

متاعب، فاختار معها صحبة رسول الله ﷺ على والده وأهله والناس أجمعين، فأراد رسول الله ﷺ أن يكافئه بتزويجه بزينة الهاشميات. وفي هذا رفع لمعنويات زيد وطمس لما علق في ذهنه وشعوره من أوضار الرق. وقد برهن رسول الله ﷺ على وفائه لزيد برهاناً عملياً في هذا الزواج، كما برهن قبلُ باتخاذه ابناً له[1].

وسُرَّ رسول الله ﷺ من هذا الزواج، وشارك في تجهيز مؤونته حيث ساق للعروسين عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة وإزاراً وخمسين مُدّاً من الطعام وعشرة أمداد من التمر، أعطاه ذلك كله رسولُ الله ﷺ، وأولم عليها وأطعم المساكين خبزاً ولحماً[2].

وموافقة زينب على الزواج من زيد ـ رضي الله عنهما ـ كانت مبنية على أساسين:

الأول: امتثال أمر الله وطاعة رسوله ﷺ فيما رغب فيه وأمر به، فما عليها إلا أن تتنازل عن كبريائها، وتنسى أنها سيدة

---

(١) مع المفسرين والمستشرقين، ص/ ٦١.
(٢) السيرة الحلبية: ٣/ ٣٢٠.

أبناء عبد شمس. وترضى بما أقرّه رسول الله ﷺ وأمرها به.

الثاني: أن زيد بن حارثة كان يُدعى زيد بن محمد، فخفّف ذلك عنها إلى حدّ كبير، إذ قالت: ومَنْ أعزّ من زيد بن محمد؟ ولهذا استمرت العشرة بينهما في بداية الأمر حتى أبطل الله التبنّي، فصار يقال لزيد: زيد بن حارثة بدلاً من زيد بن محمد، ومن هنا نشأت جذور الخلاف، وأخذت تترفع على زيد[1].

ها هي زينب في بيت الزوجية مع زيد تعيش معه ما يقرب من سنة، وبدأت العلاقة تسوء بينهما مع ما عُرِفت به زينب من كبير اعتدادٍ بنسبها وذاتها وجمالها، فكانت تُؤذيه بلسانها وترَفُّعها، فما كان من زيد إلا أن ينطلق إلى رسول الله ﷺ ليشرح له الملابسات ويبدي رغبته في طلاقها؛ ولكن رسول الله ﷺ يأمره بالتريث وسعة الصدر: «أَمْسِكْ عليك زوجك». ومن هنا استنتج العلماء أن النصيحة بإمساك المرأة لمن استشار في طلاقها هو الأَوْلى ما أمكن صلاح الحال، والمستشار مؤتمن، فعليه أن يشير بما يظهر له أنه الأصلح للمستشير[2].

---

(١) مع المفسرين والمستشرقين، ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) تفسير السعدي: ٤/١٥٦؛ من قصص النساء في القرآن، ص ١٢٥.

وموضوع زواج زيد بزينب يقودنا إلى البحث في مسألة التبني التي كانت مسألة متعارفاً عليها عند العرب قبل البعثة وبعدها وقبل إلغائها.

ويعرِّف الدكتور الألمعي ظاهرة التبني بقوله: «أن يتخذ أحدٌ ابنَ غيرِه ابناً له ويعطيه من الحقوق ما يعطيه لابنه الحقيقي. ومن ظواهر التبني أنّ أحكامه تقضي بالتوارث بين الأب وابنه بالتبني، فكأنه ابنه الحقيقي كما في قوله ﷺ: «اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني»، وهذا بطبيعة الحال ليس تشريعاً سماوياً، وإنما هو استصحابٌ للحال الذي تعارف عليه أهل عصره، فلا يُعدُّ هذا دليلاً على مشروعية التبني في الإسلام»[1].

ومن ثمرات التبني أنه يطبق فيه حكم المحرَّمات في الزواج، فزوجة الابن المتبنى تحرم على أبيه المتبني. وفي مجمل أحكام التبني إضرار بطبيعة الحقوق الأسرية وإنشاء علاقات أخرى مبنية على أسس مصطنعة، ومن هنا جاءت التشريعات الإسلامية بضرورة إلغاء هذه الظاهرة وإذابة آثارها في المجتمع.

---

(١) مع المفسرين والمستشرقين، ص ٥٥.

واقتضت الحكمة الإلـهية أن يكون إلغاء التبنّي عن طريق قدوةٍ عمليـةٍ مثلى تقـوم بمباشـرة التغيير، وذلك ليرى النـاس أمامهم أنموذجاً يُحتذى به، فكان هذا منوطاً بالرسول نفسه، واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون إلغاء التبني بالتمهيد بزواج زيد بزينب، فأصبحت زينب زوجة لابن محمد بالتبني، ثم نزل قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

* * *

الفصل الثامن

زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم



زواجها من الرسول ﷺ

أراد الإسلام أن يلغي ما تعارفت عليه الجاهلية وما دار في عرف الناس صدر البعثة، فنزل قوله تعالى: ﴿. . . وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ . . . ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٤ ـ ٥] ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

وبدا لزينب رضي الله عنها وغيرها أنَّ موضوع زيدِ بن محمد قد انتهى، وأصبح زيد بن حارثة. ومعروف أمر الرقيق والهوة الكبيرة التي تفصل بين أشراف القوم وسادتهم كابراً عن كابر من جهة، وطبقة الموالي التي يُعَدُّ زيدٌ واحداً منها من جهة ثانية، ومضت زينب تستعلي عليه ولا تطيعه وتؤذيه بلسانها[١]. وكان الله عز وجل قد أوحى إلى رسوله أن زيداً سيطلقها، وأن رسول الله ﷺ سيتزوجها بتزويج الله إياها، وسوف يندرج تحت هذه الزواج حكمة عظيمة في إبطال

---

(١) تفسير القرطبي، ص ٥٢٧١.

ما تعارف عليه القوم حتى صار عادة مستحكمة وهي: أن الأب المتبني لا يجوز له أن يتزوج مطلقة المتبنى. وأعلم زيدٌ رسولَ الله ﷺ أنه يريد طلاقها، بيد أن رسول الله ﷺ أجابه على جهة الأدب والوصية: اتق الله في قولك وأَمْسك عليك زوجك. ورسول الله ﷺ يعلم أن الأمر سيؤول إلى طلاقها، وأنه بنفسه سيتزوجها، وقد خشي ﷺ أن يلحقه لفظ الناس ويتبعه قولهم في هذا الزواج بأنه تزوَّج امرأة ابنه، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من خشية الناس في أمرٍ قد أباحه الله له[1].

وسوف يمرُّ بنا في فصل الآيات التي نزلت بشأن السيدة زينب ما رواه البخاري أن آية ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت في شأن زينب وزيد ـ رضي الله عنهما ـ، وكانت السيدة عائشة تقول: ما أنزل الله على رسوله آية أشدّ عليه من هذه الآية. وقالت: «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه». ثم يُطلع زيد رسول الله ﷺ على النفرة التي نشأت من تعاظمها عليه، فأذن له في طلاقها فطلّقها زيد ولم يبق له فيها حاجة.

---

(١) تفسير القرطبي، ص ٥٢٧٣.

تحقق الطلاق إذاً. وها هي زينب تبدأ عدة المطلقة، وبعد انقضاء العدَّة كان لا بدّ من تنفيذ المرحلة التالية وهي: زواج النبي ﷺ بزينب. وبدأت مقدمات الأمر حيث جرى حديث بشأنه بين الرسول ﷺ وصفيّه زيد، فطلب منه ﷺ أن يوصل لزينب هذه المقدمات، فوصلها ذلك، وقال لها زيد: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك. فأجابت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي، ثم قامت إلى مسجدها، ونزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧]، وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن. وهذه من خصوصياته ﷺ حيث كان زواجه منها بلا ولي ولا شهود ولا تقرير صداق[١].

ومن دروس هذه الواقعة التي استنبطها الإمام ابن حجر: «وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب لئلا يظن أحد أنّ ذلك وقع قهراً بغير رضاه. وفيه أيضاً اختبار ما كان عنده منها، هل بقي منه شيء أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأنّ مَنْ وكّل أمره إلى الله عز وجل يسَّر له ما هو الأحظّ له والأنفع دنيا وأخرى»[٢].

---

(١) القرطبي، ص ٥٢٧٥؛ الفتح: ٨/ ٣٨٣؛ حياة الصحابة: ٢/ ٦٠.

(٢) فتح الباري: ٨/ ٣٨٥.

وهـا هي زينب الآن في سـرور وغبطة ورضا، فجعلت تسـجد لله شـاكرة، وقد عزمـت على صوم شـهرين لله من قبيل الامتنان له على هذه النعمة العظيمة التي أسداها لها[1].

ولقد فتح رسول الله ﷺ باباً موصداً في هذا الزواج، وهو القضاء على عادة التبني قولاً وفعلاً. يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ولما انقضت عدة زينب من زيد زوّج الله تعالى نبيّه إياها، لتتأسى به أمته في نكاح أزواج مَنْ تبنّوه»[2].

تـزوجهـا رسـول الله ﷺ إذاً بنـص كتـاب الله بـلا ولـي ولا شاهد، فدخل عليها بغير إذن، فكانت رضي الله عنها تزهو بذلك أمام أمهات المؤمنين قائلة: «إنّ الله أنكحني رسول الله ﷺ من فوق سبع سموات وزوّجكنّ أهلوكنّ، وزوّجني الله من فوق عرشه». وهذا يردُّ ما قيل إنّ أخاها أبا أحمد زوّجها من رسول الله ﷺ[3]؛ فقد ورد في السـيرة النبويـة خلاف ذلك، فأبو أحمد زوّجهـا رسول الله ﷺ بصداق قدره أربعمئة درهم[4].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢/ ١٠٨.

(٢) زاد المعاد: ١/ ٤٢.

(٣) السيرة الحلبية: ٣/ ٣٢٠؛ فتح الباري: ١٣/ ٣٤٧؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١١.

(٤) السيرة النبوية: ٢/ ٦٤٤.

وكان هذا الزواج الميمون المبارك حين عاد رسول الله ﷺ من غزوة المريسيع[١]؛ وقيل: سنة خمس في ذي القعدة[٢]. وقيل: سنة أربع[٣].

وقد صنع رسول الله ﷺ وليمة من خبز ولحم. وفي الحديث الذي رواه مسلم[٤] عن أنس - رضي الله عنه -: «ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر أو أفضل مما أولم على زينب؛ أطعم خبزاً ولحماً حتى تركوه». ولما دخلت عليه قال لها: ما اسمك؟ قالت: برَّة؛ فسمَّاها زينب[٥].

وكان عمرها -رضي الله عنها- آنذاك خمساً وعشرين سنة[٦]، وقيل: إن عمرها آنذاك كان خمساً وثلاثين سنة[٧].

وكان يحلو للسيدة زينب رضي الله عنها أن تُظهر أمام رسول الله ﷺ ما تُظهره الأنثى أمام زوجها من دلالٍ وأنوثة،

---

(١) الطبقات لكبرى: ٨/ ١١٤.
(٢) الإصابة: ٤/ ٣١٣؛ تهذيب الكمال: ٥٣/ ١٨٤.
(٣) السيرة الحلبية: ٣/ ٣٢٠.
(٤) صحيح مسلم: ٢/ ١٠٤٩.
(٥) الاستيعاب: ٤/ ٣١٤؛ أسد الغابة: ٥/ ٤٦٤.
(٦) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٧.
(٧) الطبقات الكبرى: ٨/ ١١٤؛ السيرة الحلبية: ٣/ ٣٢٠؛ أسد الغابة ٧/ ١٢٥.

وتقول له ﷺ: إني لأدل عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تَدِلُّ بهنَّ: إنّ جدي وجدَّك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وكان جبريل السفير في أمري[1].

وذكر القرطبي: أنّ عائشة وزينب ـ رضي الله عنهما ـ تفاخرتا، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنا التي جاء بي المَلَكُ إلى النبي ﷺ في سَرَقَةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك. وقالت زينب ـ رضي الله عنه ـ: أنا زوَّجني الله من فوق سبع سموات[2].

وأرادت أم سُلَيم رضي الله عنها أن تشارك رسول الله ﷺ فرحته بزواجه من زينب ـ رضي الله عنه ـ وكعادتها صنعت له طعاماً وأرسلته إليه مع ابنها أنس ـ رضي الله عنه ـ قالت أم سُليم: يا أنس إن رسول الله ﷺ أصبح اليوم عروساً، وما أرى عنده من غداء، فهلمَّ تلك العكَّة، فناولها إياها فعملت له حَيْساً من عجوة في تَوْر[3] من فخار، قدر ما يكفيه وصاحبته؛ وقالت لأنس: اذهب به إلى رسول الله ﷺ.

يقول أنس: فوضعته بينه وبين الجدار، فقال لي ﷺ: ادعُ

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢/ ١٤؛ خصائص السيوطي: ٢/ ٢٤٦.
(٢) تفسير القرطبي، ص ٥٢٧٧.
(٣) التّور: الإناء.

أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، وذكر ناساً من أصحابه سمّاهم. فجعلت أعجب من كثرة مَنْ أمرني أن أدعوه وقلة الطعام، إنما هو طعام يسير، وكرهت أن أعصيه، فدعوتهم، فقال ﷺ: انظر مَن كان في المسجد فادعه، فجعلت آتي الرجل وهو يصلي أو هو نائم، فأقول: أجب رسول الله ﷺ فإنه أصبح اليوم عروساً، حتى امتلأ البيت. فقال لي ﷺ: هل بقي في المسجد أحد؟ قلت: لا. قال ﷺ: فانظر مَنْ كان في الطريق فادْعُهم. قال: فدعوتُ حتى امتلأت الحجرة، فقال ﷺ: هل بقي مِنْ أحد؟ قلت: لا يا رسول الله، قال ﷺ: هلمَّ التَّوْر، كلوا بسم الله؛ فجعلت انظر إلى التمر يربو، أو إلى السمن كأنه عيون تنبع، حتى أكل كلّ مَنْ في البيت، ومَنْ في الحجرة، وبقي في التَّوْر قَدْرُ ما جئت به فوضعته عند زواجته، ثم خرجت إلى أمي لأعجِّبها ممَّا رأيت. قالت: لا تعجب لو شاء الله أن يأكل أهل المدينة كلهم لأكلوا[1].

وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ: ما أولم رسول الله ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب، أَوْلِمْ بشاة[2].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٠٤، والحديث رواه مسلم في صحيحه: ٢/ ١٠٥٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٠٧.

وذكر الصالحي أن رسول الله ﷺ حين أولم على زينب أطعمهم حيساً[1].

وقد احتلّت السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ من قلب رسول الله ﷺ منزلة عظيمة، فكان يحبها حباً جماً، وتقر عائشة ـ رضي الله عنها ـ بأن زينب ـ رضي الله عنها ـ كانت تنافسها في هذه المنزلة؛ ومن الصور الطريفة التي نقرؤها في صحيح مسلم[2] عن هذه المنافسة بين الضرتين الحبيبتين إلى رسول الله ﷺ ما وراه عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة، فجاءت زينب فمدَّ يده إليها، فقالت: هذه زينب، فكفّ النبي ﷺ يده، فتقاولتا حتى اسْتَخْبتا[3]، وأقيمت الصلاة فمرَّ أبو بكر على ذلك فسمع أصواتهما، فقال: اخرج يا رسول الله إلى الصلاة، واحث في أفواههن التراب. فخرج النبي ﷺ؛ فقالت عائشة: الآن يقضي النبي ﷺ صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل بي ويفعل. فلما قضى النبي ﷺ صلاته أتاها أبو بكر فقال لها قولاً شديداً، وقال: أتصنعين هذا؟.

* * *

(١) زوجات النبي ﷺ، ص ١٨٦.
(٢) صحيح مسلم: ٢/ ١٠٨٤.
(٣) السخب والصخب: ارتفاع الأصوات واختلاطها.

الفصل التاسع

شبهات حول زواج النبي ﷺ بها



شبهات حول زواج النبي ﷺ بها

يسوق بعض المفسرين روايات باطلة حول آية الأحزاب التي يقول الله تعالى فيها: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

وينبغي أن نفصل في تفسيرها الصحيح، ثم نسوق بعض روايات المفسرين الباطلة. أما تفسيرها الصحيح فيسوقه الإمام ابن حجر في فتح الباري[١] فيقول: أتى رسول الله ﷺ منزل زيد بن حارثة، فجاءه زيد يشكو زينب إليه، فقال له ﷺ: أَمْسِك عليك زوجك واتقِ الله، فنزلت الآية إلى قوله: ﴿زوجناكها﴾.

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٣٨٤.

قال: يعني زينب بنت جحش.

وقد أخرج هذه القصة ابن أبي حاتم من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسناً، ولفظه: «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوَّجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه. فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً».

وعنده ـ أي ابن أبي حاتم ـ من طريق علي بن زيد عن علي بن الحسين بن علي قال: أعلم الله نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها؛ فلما أتاه زيد يشكوها إليه وقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله: قد أخبرتك أني مزوِّجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه. وقد أطنب الترمذي الحكيم في تحسين هذه الرواية وقال: إنها من جواهر العلم المكنون.

وقال ابن حجر: «وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: جاء زيد بن حارثة فقال: يا رسول الله إن زينب اشتد عليّ لسانها، وأنا أريد أن أطلقها، فقال: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال: والنبي ﷺ يحب أن يطلقها ويخشى قالة الناس.

ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والذي أوردته منها هو المعتمد.

والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوُّجُ امرأة الذي يُدعى ابناً، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية، والله أعلم.

وقد أخرج الترمذي من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة قالت: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ـ يعني بالإسلام ـ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ـ بالعتق ـ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ـ إلى قوله تعالى. . .

قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾. وأن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠] الآية، وكان تبناه وهو صغير. قلت: حتى صار رجلاً يقال له: زيد بن محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٥].

ويقول الإمام القرطبي في تفسيره[1]: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾: بالإسلام. ﴿وأنعمت عليه﴾: بالعتق فأعتقته. فقد جاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال: إن زينب تؤذيني بلسانها، وتفعل وتفعل، وإني أريد أن أطلّقها فقال له: ﴿أمسك عليك زوجك...﴾ الآية. فطلقها زيد فنزلت الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

ثم يسوق القرطبي الرواية المغلوطة والرواية الصحيحة في تفسير الآية، ثم يقول: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي كان عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، والمراد بقوله تعالى: ﴿وتخشى الناس﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوّج بزوجة ابنه. فأمّا ما رُوي أن النبي ﷺ هَوِي زينب امرأة زيد فهذا إنما

(١) تفسير القرطبي: ٥٢٧١.

يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا أو مستخفّ بحرمته.

فإن قيل: كيف يأمره بالتمسك بها وقد علم أنّ الفراق لابد منه؟ وهذا تناقض؛ قلنا: بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لإقامة الحجة ومعرفة العاقبة. ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان وقد علم أنه لا يؤمن؛ فليس في مخالفة متعلَّق الأمر لمتعلق ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكماً.

وقوله: واتَّقِ الله: أي في طلاقها فلا تطلقها، وأراد نهي تنزيه لا نهي تحريم. وقيل: اتق الله فلا تذمَّها بالنسبة إلى الكِبَر وأذى الزوج».

وثمة روايات مغلوطة في تفسير هذه الآية[1]، أود أن أذكر شيئاً منها لبيان بطلانها، وحتى لا يَغْتَرَّ بها أحد حين يجدها في كتب التفسير كالطبري والبغوي والزمخشري... ومن هذه الروايات: زوّج النبي ﷺ زينب من زيد، فمكثت عنده حيناً، ثم إنه عليه السلام أتى زيداً يوماً يطلبه، فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتمّ نساء قريش؛ فهَوِيَها وقال: سبحان

---

(١) طبقات ابن سعد: ٨/ ١٠١؛ تفسير الطبري: ٢٢/ ١٣؛ الكشاف: ٣/ ٢٦٢؛ تفسير البغوي: ٥/ ٢١٥.

مقلّب القلوب، فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرَتْها لزيد، ففطن زيد لذلك، فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فإن فيها كِبْراً، تعظم علي وتؤذيني بلسانها، فقال عليه السلام: أمسك عليك زوجك واتق الله. وقيل: إن الله بعث ريحاً فرفعت الستر وزينب متفضِّلة في منزلها ـ لبست ثياب بيتها ـ فرأى رسول الله ﷺ زينب فوقعت في نفسه.

وقد درس العلماء سند هذه الروايات الباطلة ومحّصوها تمحيصاً دقيقاً. ونحيل القارئ على كتاب قيم هو «مع المفسرين والمستشرقين»[1]، حيث بيّن الدكتور الألمعي ضعف أسانيدها، قال: فهي روايات تندرج ضمن المقطوع والمرسل الذي يضم في سلسلته مدلسين مختلطين ضعفاء تكلّم فيهم علماء الجرح والتعديل، فرواياتهم غير مقبولة.

وقال: «فلا تصح هذه الرواية لا سنداً ولا متناً، ولا يصح أن يُشادَ عليها بناء من الوهم أو الضلال يتطاول به على مقام النبوة».
وبيّن الدكتور الألمعي أنّ الذي دسّ هذه الفرْية يوحنا الدمشقي، فهو الذي روَّجها بين الناس حتى جاءت على لسان قتادة منسوبة إليه[2].

---

(١) مع المفسرين والمستشرقين للدكتور زاهر عواض الألمعي، ص ١٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٩.

ويقول: «عاطفة رسول الله ﷺ عاطفة بشرية سامية تتفق مع عظمة رسالته، فميوله ﷺ وهواه تبع لما توحي به شريعة الله، ولا يتصور صدور العاطفة المنحرفة التي تشين كرامته، بل هو المثل الأعلى في سمو النفس وعفة الضمير، وفي كل معنى من معاني السمو الإنساني»[1].

ويقول أيضاً: «على أنّ هؤلاء الأئمة الأعلام لم يكن لهم قصد سيِّئ قطعاً في تدوين هذه الأخبار الدخيلة في كتبهم، ولكن نقلوها كأي خبر من الأخبار، وفاتهم التمحيص والتحقيق في هذه القصة».

وقد شارك في الرّد على هذه المزاعم الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه القيِّم «السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة»، حيث يقول[2]: «وقد اعتمد هؤلاء بطعونهم على بعض ما أطلعناك عليه من روايات مختلَقة مدسوسة عند أئمة النقد وعلماء الرواية أغلب الظن أنها من صنع أسلافهم من اليهود والزنادقة من الفرس وغيرهم الذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الإسلام وقوته فلجؤوا إلى الكذب والدس». وقال: «فلو كان كما

---

(١) مع المفسرين والمستشرقين، ص ٣٧.

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: ٢/ ٣٠٠.

يزعم المتخرصون تمتد عينه إلى كل مَنْ يهوي ويستحسن لَتزوّجها وهي بكر عذراء، لا أن يسكت حتى يَجْني جناها ويقطف زهرتها رجل مولى له».

* * *

الفصل العاشر

آيات كانت السيدة زينب سبباً في نزولها



آيات كانت السيدة زينب سبباً في نزولها

أفادت كتب التفسير أن ثمة آيات في كتاب الله كانت السيدة زينب رضي الله عنها سبباً في نزولها.

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦].

ذكر المفسرون أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب لزيد بن حارثة، وكان فتاه الحبيب إلى قلبه، فدخل على زينب بنت جحش فخطبها قائلاً: إني أريد أن أزوجك زيد بن حارثة، فإني قد رضيته لك؛ قالت زينب: لست بناكحته، ولا أرضاه لنفسي، وأنا أيّم قومي وبنت عمتك، فلم أكن لأفعلَ. ورفضت هذا العرض رفضاً قاطعاً قائلة: أنا سيدة أبناء عبد شمس. وهي قد تهلّلت أول الأمر وظنت أنّ الخطبة لنفسه ﷺ.

وبعد موقف رفضها انتهت بعد حوار النبي ﷺ إلى قولها: أؤامر نفسي. فبينما هما يتحدثان نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا . . .﴾ الآية. فتلاها رسول الله ﷺ على زينب، فقالت: قد رضيته لي يا رسول الله زوجاً؟ قال: نعم؛ قالت: إذن لا أعصي الله ورسوله؛ وأذعنت ملتزمة بها، واستجابت لطلب رسول الله ﷺ وتزوجت زيد بن حارثة[1].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

تبين لنا في تفصيلنا السابق قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب، ويرى جمهور المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن هذا الزواج وملابساته، وقالت طائفة من الصحابة: ما أنزل الله على

---

(١) السمط الثمين، ص ١٢٩؛ فتح القدير: ٤/ ٢٨٢؛ الطبري: ٢٢/ ١١؛ القرطبي، ص ٥٢٦٨.

رسوله آية أشد عليه من هذه الآية، وقال الحسن وعائشة رضي الله عنهما: لو كان رسول الله كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية لشدّتها عليه[1].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣].

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: قلت يا رسول الله يدخل عليك البرّ والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؛ فأنزل الله آية الحجاب[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا

---

(١) القرطبي، ص ٥٢٧١.
(٢) فتح الباري: ٨/ ٣٨٧.

يتحدثون، وإذا هو يتأهّب للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام؛ فلما قامَ، قام مَن قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقتُ، فجئت، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ. . . ﴾ الآية[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أيضاً قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية، آية الحجاب: لما أُهدِيَت زينب إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت، صنع طعاماً ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ . . . ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فضُرب الحجاب وقام القوم[2].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بنى النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأُرسلتُ على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٣٨٧؛ صحيح مسلم: ٢/ ١٠٤٦.
(٢) فتح الباري: ٨/ ٣٨٧؛ صحيح مسلم: ٢/ ١٠٥٢.

ما أجد أحداً أدعو، فقلت: يانبيَّ الله ما أجد أحداً أدعوه، فقال: فارفعوا طعامكم؛ وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ، فانطلق إلى حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك؟ بارك الله لك؛ فتقرَّى حُجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة ـ رضي الله عنها ـ ويقلن له كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ثم رجع النبي ﷺ فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون ـ وكان النبي ﷺ شديد الحياء ـ فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فما أدري: أخبرَته أو أُخبر أنّ القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أُسكُفَّةِ الباب أرخى الستر بيني وبينه ونزلت آية الحجاب(١).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أيضاً قال: أولم رسول الله ﷺ حين بنى بزينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حُجَر أمهات المؤمنين، كما كان يصنع صبيحة بنائه، فيُسلِّم عليهن ويدعو لهن، ويسلِّمن عليه ويدعون له؛ فلما رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلما رآهما رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبيّ الله ﷺ رجع إلى بيته وَثَبا مُسرعين،

---

(١) فتح الباري: ٨/٣٨٨؛ صحيح مسلم: ٢/١٠٤٦.

فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أُخبر، فرجع حتى دخل البيت وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب[(1)].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التحريم: ١].

روى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ـ رضي الله عنها ـ ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أن أيّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟؛ فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: لابأس شربتُ عسلاً عند زينب، ولن أعود، فنزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ...﴾ لعائشة وحفصة، ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾ لقوله: بل شربتُ عسلاً[(2)].

ففي هذا الحديث أن عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ هما المتظاهرتان، وزينب هي صاحبة العسل. قال ابن حجر: «والحديث في كتاب الهبة يرجح ذلك، وهو أن نساء النبي ﷺ كنَّ حزبين، عائشة وسودة وحفصة وصفية ـ رضي الله عنهن ـ في

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٣٨٨.
(٢) فتح الباري: ٩/ ٢٨٧؛ مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٢١.

حزب؛ وزينب وأم سلمة والباقيات ـ رضي الله عنهن ـ في حزب، فهذا يرجح أن زينب هي صاحبة العسل، ولهذا غارت عائشة منها لكونها من غير حزبها. ونزول الآية بعد تحريم العسل على نفسه ﷺ. والمغافير واحده مغفور وهو صمغ حلو، له رائحة كريهة»[1].

يقول الأستاذ سيد قطب في ظلاله[2]: تبدأ السورة بهذا العتاب من الله سبحانه لرسوله ـ ﷺ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، وهو عتاب مؤثر موح، فما يجوز أن يحرم المؤمن على نفسه ما أحله الله له من متاع. والرسول ﷺ لم يكن حرَّم العسل ـ أومارية ـ بمعنى التحريم الشرعي، إنما كان قد قرر حرمان نفسه؛ فجاء هذا العتاب يوحي بأن ما جعله الله حلالاً فلا يجوز حرمان النفس منه عمداً وقصداً إرضاء لأحد.. والتعقيب: ﴿والله غفور رحيم﴾.. يوحي بأن هذا الحرمان من شأنه أن يستوجب المؤاخذة، وأن تتداركه مغفرة الله ورحمته. وهو إيحاء لطيف.

* * *

---

(١) الفتح: ٩/ ٢٩٠؛ واللسان: غفر.
(٢) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٦١٥.



الفصل الحادي عشر

وفاتها رضي الله عنها



وفاتها رضي الله عنها

توفت السيدة زينب رضي الله عنها ـ لدى أغلب المصادر التاريخية ـ سنة عشرين[1]. وكان لها من العمر ثلاث وخمسون سنة[2]؛ وذكر خليفة بن خياط في تاريخه[3]: أنها توفيت سنة إحدى وعشرين، وكانت زينب رضي الله عنها أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به، وكان رسول الله ﷺ قد أَخبر بذلك، وذلك من معجزاته الكثيرة.

قال صاحب السيرة الحلبية[4]: وزينب رضي الله عنها أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به. قالت بعض نسائه له: أيّنا أسرع بك

---

(١) الكاشف: ٢/٥٠٨؛ صفة الصفوة: ٢/٤٩؛ الطبقات الكبرى: ٨/١١٥.

(٢) الاستيعاب: ٤/٣١٧.

(٣) خليفة بن خياط، ص ١٤٩.

(٤) السيرة الحلبية: ٣/٣٢١.

لحوقاً، قال ﷺ: أطولكن يداً؛ فأخذن قصبة يَذرَعْنها. قالت عائشة رضي الله عنها: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة الرسول ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فكانت سودة رضي الله عنها أطولهن؛ فلما ماتت السيدة زينب وكانت امرأة قصيرة، علمن أن المراد بطول اليد الصدقة، لأنها كانت تعمل وتتصدَّق.

وحين حضَرتها الوفاة قالت رضي الله عنها: إني أعددت كفني، فإن بعث لي عمر بكفن فتصدَّقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذا دليتموني أن تتصدَّقوا بحقوتي[١]، فافعلوا[٢].

ثم انتقلت رضي الله عنها إلى الرفيق الأعلى، فأمر عمر ألا يخرج معها إلا ذو محرم؛ فقالت أسماء بنت عميس: ألا أريك شيئاً، رأيت الحبشة تصنعه بنسائهم؟ فجعلت نعشاً وغشته ثوباً، فقال عمر: ما أحسن هذا وأستره، نِعم خباء الظعينة؛ فأمر منادياً أن ينادي في الناس أن اخرجوا على أمكم؛ ولذلك قيل: إن زينب أول امرأة جعل عليها النعش[٣].

ويذكر صاحب «الطبقات» أنَّ من ضمن وصية زينب أن

---

(١) الحقوةُ: الإزار.

(٢) سير أعلام النبلاء: : ٢/ ٢١٧.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٣؛ السمط الثمين، ص ١٣٠؛ المعارف، ص ١٣٦؛ الأعلام: ٣/ ٦٦٦.

حمل على سرير رسول اللهّ ﷺ ، ويجعل عليه نعش، وقبل ذلك حُمل عليه أبو بكر، وكانت المرأة إذا ماتت حُملت عليه حتى كان مروان بن الحكم، فمنع أن يحمل عليه إلا الرجل الشريف، وفرَّق سرراً في المدينة تحمل عليه الموتى[1]. ولكن صاحب السيرة الحلبية[2] يقول: إن فاطمة هي أول مَن جُعل على نعشها قُبَّة، وأن زينب هي الثانية.

وتذكر المصادر أن أخاها أبا أحمد بن جحش كان شديد التأثر بوفاتها، فخرج يحمل جنازتها مع من يحمل، وكان ضريراً يبكي بكاءً شديداً؛ فقال له عمر: يا أبا أحمد تنحّ عن السرير لا يُعنتك الناس ـ أي لا يشقون عليك ـ وازدحموا على سريرها، فقال أبو أحمد: يا عمر هذه التي نلنا بها كل خير، وإن البكاء يبرِّد حرَّ ما أجد، فقال عمر: الزم الزم[3]. فقد وافقه عمر ولم يُنكر عليه بعد ما سمع من إجابته.

ولم تترك السيدة زينب رضي الله عنها درهماً ولا ديناراً من متاع الدنيا، وكانت تُسمَّى بأم المساكين لحدبها

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٠٩.
(٢) السيرة الحلبية: ٣/ ٣٢١.
(٣) حياة الصحابة: ٢/ ٥٩٦.

عليهم[١]. وأما منزلها فقد باعوه للوليد بن عبد الملك حين عزم على توسعة المسجد النبوي بخمسين ألف درهم[٢].

وبعد أن علم عمر بوفاتهاأرسل إليها بخمسة أثواب من خزائن بيت مال المسلين، وقد تخيّرها ثوباً ثوباً، ثم بخَّرها، وكانت من الحرَّاني فكُفِّنت فيها، وتصدّقت أختها حمنة عنها بكفنها الذي أعدَّته لتُكَفَّن فيه[٣].

وكـان مِنْ ضمن ما أوصـت به رضي الله عنهـا أن لاتُتبـع بنار[٤].

وحُفِرَ لها بالبقيع عند دار عقيل فيما بين دار عقيل ودار ابن الحنفية، ونُقل اللِّبن من موضع يُقال له السُّمَيْنة، فوضع عند قبرها، وكان يوماً صائفاً[٥]. ومرَّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على حفارين يحفرون قبر السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ في

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ١١٤.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) الإصابة: ٤/ ٣١٤؛ الطبقات الكبرى: ٨/ ١١٠.
(٤) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٠٩.
(٥) المصدر السابق نفسه.

يومٍ صائف، فأمر أن يضرب عليهم فسطاط[1]، فكان أول فسطاط ضُرب على قبر[2].

وقد صلّى عمر على السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ ثم أرسل إلى أزواج النبي ﷺ يسألهن مَنْ يُدخلها قبرها، فقلن: مَن كان يراها في حياتها فليدخلها قبرها[3]. وجلس عمر ـ رضي الله عنه ـ على شفير القبر ومعه أخوها الضرير أبو أحمد جالساً معه، ومعه ثُلّة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعندما جهزوا قبرها نزل إلى القبر[4]؛ ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش[5]، وأسامة[6]، وعبد الله بن أبي أحمد بن جحش[7]، ومحمد بن

---

(١) الفسطاط: بين من الشعر.

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ١١٣.

(٣) الطبراني في الكبير: ٢٤/ ٥٠.

(٤) الطبقات الكبرى: ٨/ ١١٤.

(٥) محمد بن عبد الله بن جحش الأسدي، صحابي، أبوه من كبار الصحابة وعمته زينب أم المؤمنين، ولم تُذكر وفاته؛ انظر: تقريب التهذيب، ص ٤٨٧.

(٦) أسامة بن زيد بن حارثة الأمير أبو محمد صحابي مشهور، توفي بالمدينة سنة ٥٤ هـ؛ انظر: تقريب التهذيب، ص ٧٨.

(٧) عبد الله بن أبي أحمد بن جحش الأسدي، ولد في حياة النبي ﷺ، وروى عنه عمر وغيره، وذكر جماعة من ثقات التابعين؛ انظر: =

طلحة بن عبد الله[1] ـ وهو ابن أختها حمنة بنت جحش ـ. وطلب عمر من الناس أن يتنحَّوا ليسمحوا لبعض محارمها أن يتابعوا دفنها في المرحلة الأخيرة[2].

وكانت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ ضمن النسوة اللاتي تأثَّرن كثيراً بوفاتها، وبكت عليها وترحَّمت وذكرت صلاحها، فقيل لها: أي نساء رسول الله ﷺ كانت آثر عنده؟ فقالت: لقد كان لزينب وأم سلمة مكان عنده، وكانت زينب أحب نسائه إليه ـ فيما أحسب ـ بعدي[3]. ومن أقوال السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فيها: يرحم الله زينب؛ لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إنّ الله زوّجها ونطق به القرآن، وهي زوجته في الجنة[4]. وقالت فيها أيضاً: لقد ذهبَتْ حميدةً متعبدةً مفزع اليتامى والأرامل[5].

* * *

= تقريب التهذيب، ص ٢٩٥.

(١) محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، صدوق، مات بعد المئة؛ انظر: تقريب التهذيب، ص ٤٨٥.

(٢) الطبقات الكبرى: ٨/ ١١٠

(٣) المصدر السابق: ٨/ ١١٤.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢١٥.

(٥) الاستيعاب: ٤/ ١٨٥١؛ الإصابة: ٨/ ٩٣.

ملحق
بِبَعضِ الأَحَادِيث التي رَوَتها أو رُوِيَت عَنْهَا



ملحق

بعض الأحاديث التي روتها أو رُويت عنها

١ ـ عن السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة[١].

٢ ـ وعن السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو عاقد بأصبعيه السبابة بالإبهام وهو يقول: ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فُتح اليوم مِنْ ردم يأجوج ومأجوج مثل موضع الدرهم. قالت: فقلت: يا رسول الله! أنَهْلَك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث[٢].

٣ ـ قالت السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ: إني سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٤٢٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

الآخر أن تَحدّ على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا[١].

٤ ـ دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: لزينب تصلي، فإذا كَسِلت أو فتَرَت أمسكت به؛ فقال: حُلُّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا كسِل أو فَتَر قعد[٢].

٥ ـ وروت السيدة عائشة في حقّ السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ: وهي التي كانت تُساميني منهنّ في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أرَ امرأةً قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله، وأصدق حديثاً وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشدّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدَّق به وتَقَرَّب به إلى الله تعالى، ماعدا سَوْرَةً من حَدٍّ كانت فيها، تُسرع منها الفيئة[٣].

٦ ـ أتى الرسول ﷺ امرأته زينب ـ رضي الله عنها ـ وهي تَمْعَسُ مَنِيْئة لها[٤].

٧ ـ ... فأما زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ يوم

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٣٢٤.
(٢) صحيح مسلم: ١/ ٥٤٢.
(٣) المصدر السابق: : ٤/ ١٨٩٢.
(٤) المصدر السابق: ٢/ ١٠٢١، أي تدلك الجلد المدبوغ.

الإفك؛ فعصمها الله عز وجل بدينها، فلم تقل إلا خيراً[1].

٨ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر ـ أو أفضل ـ مما أولم على زينب. قال ثابت: بما أولم؟ قال: أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه[2].

٩ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما تزوَّج النبي ﷺ زينب أهدت له أم سُلَيم حَيْساً في تَوْر ـ إناء ـ من حجارة، فقال أنس ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: اذهب فادع لي مَنْ لقيت من المسلمين، فدعوتُ له مَنْ لقيت، فجعلوا يدخلون عليه فيأكلون ويخرجون، ووضع النبي ﷺ يده على الطعام فدعا عليه، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ولم أَدَعْ أحداً لقيته إلا دعوته فأكلوا حتى شبعوا...[3].

١٠ ـ عن زينب ـ رضي الله عنها ـ أنه كان لها مِخْضَب من صُفْر، قالت: كنت أُرَجِّل رأس رسول الله ﷺ فيه[4].

* * *

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٨٣.
(٢) صحيح مسلم: ٢/ ١٠٤٩.
(٣) المصدر السابق: ٢/ ١٠٥٢.
(٤) سنن ابن ماجه: ١/ ١٦٠؛ والمخضب: إناء؛ ورجَّل الشعر: سوَّاه وزيَّنه وسرَّحه.



الخاتمة

وأخيراً تلك هي سيرة السيدة الفاضلة ـ زينب رضي الله عنها ـ الصوَّامة القوَّامة، التي امتدحها رسول الله ﷺ بقوله: «إنها الأوَّاهة الخاشعة». . . تلك هي السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ التي ما عُرِف عنها غير الصلاح والتقوى والعمل من أجل مساعدة الضعفة والمساكين. . . لم تلتفت إلى الدنيا بما فيها من زخارف ومفاتن، بل راحت تعمل جاهدة من أجل آخرتها.

هذه المرأة التي يراد بها خير، وقد عصمها الله بالورع، فحين سألها رسول الله ﷺ عما تعرفه عن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ في حديث الإفك، قالت: «أحمي سمعي وبصري، ما علمت عليها إلا خيراً».

جدير بنساء عصرنا أن تهتدي بأمثال هذه المرأة الصالحة.

وقد جاء بخثي هذا عن السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ في

أحد عشر فصلاً: تحدَّثتُ في الفصل الأول عن اسمها وقبيلتها وولادتها؛ فقد اشتهرت رضي الله عنها باسمها، وكان اسمها بَرَّة، فغيَّره رسول الله ﷺ إلى زينب، وتحدَّثتُ عن سبب ذلك.

ثم تحدثت في الفصل الثاني عن أسرتها التي ضمَّت أبويها؛ فأبوها: جحش بن رئاب الأسدي، ولم أقف على ترجمة له في كتب السيرة والتراجم، وأمها: أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

أما إخوتها: فالأول: عبد الله بن جحش الذي مثَّل به المشركون بعد قَتْله؛ فجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه وبقروا بطنه.. رضي الله عنه. وأخوها الثاني: عبيد الله بن جحش الذي أسلم وهاجر مع امرأته أم حبيبة إلى الحبشة، ولكنه سرعان ما تنصَّر هناك وفارق الإسلام ومات على النصرانية في الحبشة. وأبو أحمد الضرير أخوها الثالث: الذي كان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وقد حضر وفاة أخته زينب ـ رضي الله عنها ـ وخرج يحمل السرير وهو يبكي ويقول: هذه التي نلنا بها كل خير.

ثم تحدثتُ عن أخواتها: حمنة، وهي التي ورد اسمها في حديث الإفك، فكانت رضي الله عنها تحاول أن ترفع من شأن

أختها زينب ـ رضي الله عنها ـ وتخفض من منزلة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ. أما أختها الثانية فهي: حبيبة التي روي عنها أنها استحاضت سبع سنين، وأخذت لقب المستحاضة.

وكان من أفراد أسرتها التي تحدثت عنها خالتها: صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، التي هاجرت إلى المدينة المنورة، وكان لها دور في يوم الخندق ويوم أحد، عندما علمت بمقتل أخيها حمزة؛ تقدَّمت إليه ورأت ما فعل المشركون به من تمثيل، وقالت: لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله.

ثم تحدثتُ عن خالها حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ الذي قُتل شهيداً يوم أحد، ومثَّل به المشركون حيث بقروا بطنه، واحتملوا كبده إلى هند.

وأخيراً تحدثت عن ابن خالتها الزبير بن العوَّام حواري رسول الله ﷺ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد قُتل في موقعة الجمل ـ رضي الله عنه ـ.

أما في الفصل الثالث: فقد تحدَّثتُ عن صفاتها ـ رضي الله عنها ـ وكانت الصفة الأولى التي اتَّسمت بها التزامها بدينها؛ فكانت كما وصفتها كتب السيرة: كثيرة الخير والعطاء، حتى إنها عُرفت بأم المساكين، ووصفها رسول الله ﷺ بطول اليد وأراد

بذلك كثرة الصدقة. واتَّسمت ـ رضي الله عنها ـ بالورع، ولعلَّ أوضح مثال على ذلك ـ كما مرَّ معنا ـ موقفها من حادثة الإفك المعروفة التي اتُّهِمت بها السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقد وصفها المؤرِّخون بقولهم: الخاشعة الراضية الأوَّاهة الداعية، حتى إن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت عنها: «ولم أرَ امرأة قطّ خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم أمانة وصدقة. . .» رضي الله عنها.

أما الصفة الثانية التي اتَّصفت بها أم المؤمنين السيدة زينب؛ فهي الاعتزاز بالنفس، وضربت على ذلك بعض الأمثلة.

ثم تحدثت عن الصفة الثالثة للسيدة زينب التي اتصفت بها وهي الجمال؛ فقد ذكرت كتب التراجم أنها كانت بيضاء سمينة من أتم نساء قريش.

والصفة الرابعة التي اتَّصفت بها السيدة زينب هي صناع اليد؛ فقد كانت ماهرة تعمل بيديها، وتتصدق بذلك على المساكين. وكان لها ـ رضي الله عنها ـ بعض الأحاديث التي روتها عن رسول الله ﷺ.

وفي الفصل الرابع: تحدَّثتُ عن إسلامها وهجرتها التي كانت قريبة من زمن هجرة رسول الله ﷺ.

وفي الفصل الخامس: أشرتُ إلى بعض الغزوات التي اشتركت فيها مع رسول الله ﷺ، منها غزوة الطائف، وخيبر، وحجة الوداع.

أما في الفصل السادس: فقد تحدَّثتُ عن زوجها الأول زيد بن حارثة - رضي الله عنه - حِبُّ رسول الله ﷺ، وترجمتُ له بإيجاز، وتحدَّثتُ عن انتقاله من الرقّ إلى الحرية.

وجاء الحديث في الفصل السابع عن زواجها من زيد بن حارثة - رضي الله عنه - وما موقفها من هذا الزواج الذي تأنف منه سيدة نساء قريش.. ثم رضوخها لأمر الله ورسوله.

وفي الفصل الثامن: كان الحديث عن زواجها من رسول الله ﷺ؛ ذلك الزواج الميمون الذي كان بعد عودة رسول الله ﷺ من غزوة المريسيع، وكان الذي زوَّجها إياه الله تعالى من فوق عرشه، فكانت رضي الله عنها تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول لهن: أنكَحَني اللهُ رسول الله من فوق سبع سموات...

وبيَّنت في الفصل التاسع الشبهات والأباطيل التي كانت حول زواج النبي ﷺ من السيدة زينب والردّ عليها.

وخصَّصت الفصل العاشر لذكر بعض الآيات التي كانت السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ سبباً في نزولها .

ثم أشرت في الفصل الحادي عشر إلى سَنَة وفاتها، ومَنْ قام على دفنها، وما أوصت به ـ رضي الله عنها ـ.

وأخيراً ذيّلت بحثي هذا بملحق لبعض الأحاديث التي روتها السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ أو رُوِيت عنها .

ثم كانت الخاتمة، وذكر المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في بحثي هذا .

والله أسأل التوفيق والقبول .

* * *

المصادر

- أزواج النبي ﷺ، لابن زبالة، تحقيق: د. أكرم العمري ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، المجلس العلمي، الجامعة الإسلامية.

- أزواج النبي ﷺ اللاتي دخل بهنَّ أو عقد عليهنّ أو خطبهنّ وبعض فضائلهن، تصنيف الإمام محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي المتوفى سنة ٩٤٢هـ، تحقيق: الشيخ محمد نظام الدين الفتيح، دار ابن كثير، مكتبة دار التراث ـ دمشق، بيروت، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير ـ بيروت، دار إحياء التراث، مصورة عن طبعة طهران ١٣٧٧هـ.

- الإصابة، لابن حجر، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، السعادة.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، على حاشية كتاب الإصابة، السعادة، ١٣٢٨هـ.

ـ الأعلام، للزركلي ـ بيروت ١٩٨٤م.

ـ أعلام النساء، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ـ تقريب التهذيب لابن حجر، تحقيق الشيخ محمد عوامة، دار الرشيد ـ حلب ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير، للإمام الحافظ ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دار المسيرة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، حققه الدكتور بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ـ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم العمري ـ بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ـ تفسير الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣٠١هـ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

ـ تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله

محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب ـ القاهرة.

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

ـ حياة الصحابة، للكاندهلوي، تحقيق: الشيخ نايف العباس، ومحمد علي دولة، دار القلم ـ دمشق.

ـ حياة الصحابيات، تأليف خالد عبد الرحمن العك، دار الكلمة للطباعة والنشر ـ دمشق، سورية ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ـ زوجات النبي ﷺ وأسرار الحكمة في تعدُّدهن، إبراهيم محمد حسن الجمل، مكتبة وهبة ـ القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ـ زاد المعاد لابن القيم، راجعه: طه عبد الرؤوف طه، مطبعة الحلبي ـ مصر ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

ـ السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

ـ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة، دار القلم ـ دمشق.

- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، محمد بن أمين السويدي - الرياض.

- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت.

- السيرة الحلبية، تأليف: الإمام العالم العلامة علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ٩٧٥/ ١٠٤٤، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان.

- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، تأليف: الإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، المتوفى سنة ٦٩٤هـ، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي - حلب.

- شهداء الإسلام في عصر النبوة، الدكتور علي سامي النشار، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، لبنان.

- شذارات الذهب، لابن العماد الحنبلي - بيروت المكتب التجاري.

- فتح الباري لابن حجر - طبعة دار الفكر، نشر مكتبة الرياض الحديثة.

- الطبقات الكبرى، لابن سعد - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- العِبَر في خبر مَنْ عَبَر، للذهبي - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- قصص النساء في القرآن الكريم، بحث لنيل درجة الماجستير، محمد الحميد، الجامعة الإسلامية.

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة وأحمد الخطيب، دار القبلة - جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- كتاب الطبقات، للإمام أبي عمر وخليفة بن خياط شباب العصفري - دار طيبة للنشر والتوزيع، حققه وقدَّم له: الدكتور أكرم العمري.

- المعارف، لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم، حققه وقدَّم له: الدكتور ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف - مصر.

- المغازي، للواقدي، تحقيق: مارسدن جونس - عالم الكتب، بيروت.

- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، تأليف: الدكتور زاهر عواض الألمعي.

- نساء أنزل الله فيهنَّ قرآناً، الدكتور عبد الرحمن عميرة - دار اللواء للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

* * *

أعلام المسلمين

سلسلة تراجم إسلامية تجمع بين العلم والفكر والتوجيه، وتتناول أعلام المسلمين في شتى الميادين.

صدر منها :

١ـ عبد الله بن المبارك
«الإمام القدوة»
محمد عثمان جمال

٢ـ الإمام الشافعي
«فقيه السنة الأكبر»
عبد الغني الدقر

٣ـ مصعب بن عمير
«الداعية المجاهد»
محمد حسن بريغش

٤ـ عبد الله بن رواحة
«أمير شهيد وشاعر على سرير من ذهب»
د. جميل سلطان

٥ ـ أبو حنيفة النعمان
«إمام الأئمة الفقهاء»
وهبي سليمان غاوجي

٦ـ عبد الله بن عمر
«الصحابي المؤتسي برسول الله»
محيي الدين مستو

٧ـ أنس بن مالك
«الخادم الأمين والمحب العظيم»
عبد الحميد طهماز

٨ ـ سعيد بن المسيّب
«سيد التابعين»
د. وهبة الزحيلي

٩ـ السلطان محمد الفاتح
«فاتح القسطنطينية وقاهر الروم»
د. عبد السلام فهمي

١٠ـ الإمام النووي
«شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقراء والمحدثين»
عبد الغني الدقر

٣٧ـ سفيان بن عيينة
«شيخ شيوخ مكة في عصره»
عبد الغني الدقر

٣٨ـ الإمام ابن حجر العسقلاني
«أمير المؤمنين في الحديث»
عبد الستار الشيخ

٣٩ـ العز بن عبد السلام
«سلطان العلماء وبائع الملوك»
د. محمد الزحيلي

٤٠ـ عمر بن عبد العزيز
«خامس الخلفاء الراشدين»
عبد الستار الشيخ

٤١ـ الإمام القرطبي
«شيخ أئمة التفسير»
مشهور حسن سلمان

٤٢ـ سعد بن الربيع
«النقيب الشهيد»
محمد علي كاتبي

٤٣ـ الإمام الغزالي
«حجة الإسلام ومجدِّد المئة الخامسة»
صالح الشامي

٤٤ـ الإمام الزهري
«عالم الحجاز»
محمد حسن شراب

٤٥ـ عبد القادر الجيلاني
«الإمام الزاهد القدوة»
عبد الرزاق الكيلاني

٤٦ـ الإمام البيهقي
«شيخ الفقه والحديث وصاحب السنن الكبرى»
د. نجم عبد الرحمن خلف

٤٧ـ محمد بن الحسن الشيباني
«نابغة الفقه الإسلامي»
د. علي أحمد الندوي

٤٨ـ أبيّ بن كعب
«صاحب رسول الله وسيد القرّاء في زمانه»
صفوان داودي

٤٩ـ الإمام مسلم بن الحجاج
«الحافظ الكبير وصاحب الجامع الصحيح»
مشهور حسن سلمان

٥٠ـ الحافظ الذهبي
«مؤرخ الإسلام ـ ناقد المحدّثين
إمام المعدِّلين والمجرِّحين»
عبد الستار الشيخ

٥١ـ سفيان الثوري
«أمير المؤمنين في الحديث»
عبد الغني الدقر

٥٢ـ الإمام علي بن المديني
«شيخ البخاري وعالم الحديث
في زمانه»
إبراهيم العلي

٥٣ـ محمد بن إسحاق
«إمام أهل المغازي والسِّيَر»
محمد أبو صعيليك

٥٤ـ الإمام محمد بن حبّان
«فيلسوف الجرح والتعديل»
محمد أبو صعيليك

٥٥ـ الإمام اللكنوي
«علاّمة الهند وإمام المحدِّثين
والفقهاء»
د. ولي الدين الندوي

٥٦ـ أم سَلَمة
«العاقلة العالمة أم المؤمنين»
أمنية عمر الخراط

٥٧ـ الإمام ابن كثير
«الحافظ المفسِّر المؤرخ الفقيه»
د. محمد الزحيلي

٥٨ـ الإمام ابن حزم
«إمام أهل الأندلس»
محمد أبو صعيليك

٥٩ـ عبد الله بن الزبير
«العائذ ببيت الله الحرام»
ماجد اللحام

٦٠ـ الحسن البصري
«الحكيم الواعظ الزاهد العالم»
د. مصطفى الخن

٦١ـ أم سُلَيم بنت ملحان
«داعية وهبت حياتها للدعوة»
أمينة عمر الخراط

٦٢ـ حذيفة بن اليمان
«أمين سرّ رسول الله ﷺ»
إبراهيم محمد العلي

٦٣ـ الإمـام الخطـابي
«المحدّث الفقيه والأديب الشاعر»
د. أحمد الباتلي

٦٤ـ مصطفـى صـادق الـرافعـي
«فارس الكلمة تحت راية القرآن»
د. محمد رجب البيومي

٦٥ـ الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي
«مَعْلمة العلوم الإسلامية»
د. محمد رجب البيومي

٦٦ـ جمـال الدين القاسـمي
«أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام»
د. نزار أباظـة

٦٧ ـ أبـو عبيدة بـن الجـراح
«أمين الأمة وفاتح الديار الشامية»
محمد حسن شراب

٦٨ ـ أم عمـارة (نَسِيبة بنت كعب)
«الصحابية المجاهدة»
أمينة عمر الخراط

٦٩ ـ أم المـؤمنين زينـب
«الصالحة العابدة، أمُّ المساكين»
أمينة عمر الخراط

٧٠ ـ صـلاح الديـن الأيـوبـي
«قاهر العدوان الصليبي»
د. محمد رجب البيومي